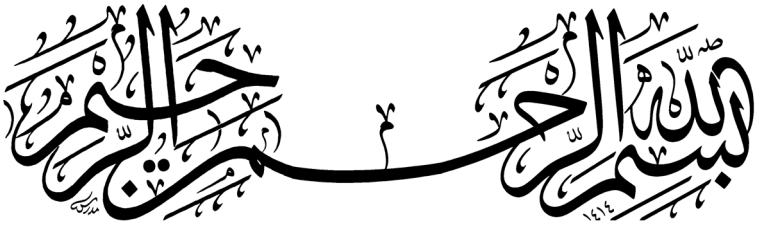
بسم الله الرحمن الرحيم

إزالة «خطأ» أو «تزوير تاريخي»

دراسة تحليليّة حول الحركة الجهاديّة للسيّد المجاهد قدس سره

بقلم الأستاذ علي أبو الحسني (منذر)

إعداد محمّد صادق أبو الحسني

ترجمة السيّد محمّد العمدي

مركز الشيخ الطوسي للدراسات والتحقيق

العتبة العباسية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

المكتبة ودار المخطوطات

مركز الشيخ الطوسي قدس سره للدراسات والتحقيق

البحث: إزالة «خطأ» أو «تزوير تاريخي» تحليلات شيّقة حول آية الله السيّد المجاهد قدس سره.

الباحث: الأستاذ علي أبو الحسني (منذر).

بلد الباحث: إيران.

مراجعة: مركز الشيخ الطوسيّ قدس سره للدّراسات والتّحقيق.

الناشر: مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة.

الإخراج الفني: حيدر جعفر ثامر الجابريّ.

الطبعة: الأولى.

التاريخ: ٦/صفر/١٤٤٣هـ - ١٤/٩/٢٠٢١م

كلمة اللّجنتين العلميّة والتحضيريّة

للمؤتمر العلميّ الدوليّ الأوّل (السيّد المجاهد وتراثه العلميّ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نحمدك اللّهمّ يا مَن شرّعت لنا فيض (مناهل) آلائك، وفتحت مغالق أبواب السماء (بمفاتيح) الرحمة من أوليائك، وشرّعت لنا خاتمةَ الشرائع بسيّد أنبيائك، وأفضل صلواتك وأتمّ تحيّاتك على صفوة الخلق أصفيائك، محمّدٍ وأهل بيته خيرتك ونجبائك، الذين جعلتهم سادة أمنائك و(المصابيح) لهداية عبادك، وأقربَ (الوسائل) لنيل مثوبتك وعطائك، وجعلت (إصلاح العمل) وقبول الأعمال بولايتهم وولائك، واللعنة الدائمة على أعدائهم أعدائك.

وبعد، فقد زخرت سماء العلم والمعرفة في تاريخ الشيعة بنجومٍ لامعة، يهتدي بسناها الضالّون، ويقتدي بهداها المسترشدون، حملوا راية الحقّ ومشعل الهداية، وصدّوا عن الجهل والغواية.

وكانوا كما ورد في الحديث عن الإمام أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكريّ عليه السلام، أنّه قال: قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عليهما السلام: «**عُلَمَاءُ شِيعَتِنَا مُرَابِطُونَ فِي الثَّغْرِ الَّذِي يَلِي إِبْلِيسُ وَعَفَارِيتُهُ، يَمْنَعُونَهُمْ عَنِ الْخُرُوجِ عَلَى ضُعَفَاءِ شِيعَتِنَا، وَعَنْ أَنْ يَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ وَشِيعَتُهُ النَّوَاصِبُ. أَلَا فَمَنِ انْتَصَبَ لِذَلِكَ مِنْ شِيعَتِنَا كَانَ أَفْضَلَ مِمَّنْ جَاهَدَ الرُّومَ وَالتُّرْكَ وَالْخَزَرَ أَلْفَ أَلْفِ مَرَّةٍ؛ لِأَنَّهُ يَدْفَعُ عَنْ أَدْيَانِ مُحِبِّينَا، وَذَلِكَ يَدْفَعُ عَنْ أَبْدَانِهِمْ**»[1].

---

(١) الاحتجاج: ٢/ ١٥٥.

فبلّغوا معارف أهل البيت عليهم السلام السامية، وأوصلوا كلمتهم كلمة الحقّ العالية، وبثّوا علومهم الصحيحة الشريفة، وفقّهوا شيعتهم على الأحكام الصحيحة المنيفة، وكانوا بذلك القرى الظاهرة، والواسطة في الفيض، والوسيلة في الهداية، والسبب في الرشاد، كما ورد في مناظرة الإمام الباقر عليه السلام مع الحسن البصريّ، حيث قال عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾[1]:

«فَنَحْنُ الْقُرَى الَّتِي بَارَكَ الله فِيهَا، وَذَلِكَ قَوْلُ الله عَزَّ وَ جَلَّ، فَمَنْ أَقَرَّ بِفَضْلِنَا حَيْثُ أَمَرَهُمُ الله أَنْ يَأْتُونَا، فَقَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾، أَيْ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ شِيعَتِهِمْ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴿قُرًى ظَـٰهِرَةً﴾، وَالْقُرَى الظَّاهِرَةُ: الرُّسُلُ وَالنَّقَلَةُ عَنَّا إِلَى شِيعَتِنَا، وَفُقَهَاءُ شِيعَتِنَا إِلَى شِيعَتِنَا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾، فَالسَّيْرُ مَثَلٌ لِلْعِلْمِ ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا﴾، مَثَلٌ لِمَا يَسِيرُ مِنَ الْعِلْمِ فِي اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ عَنَّا إِلَيْهِمْ فِي الحلاَلِ وَالحرَامِ، وَالْفَرَائِضِ وَالْأَحْكَامِ ﴿ءَامِنِينَ﴾ فِيهَا إِذَا أَخَذُوا مِنْ مَعْدِنِهَا الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَأْخُذُوا مِنْهُ، آمِنِينَ مِنَ الشَّكِّ وَالضَّلَالِ، وَالنَّقَلَةِ مِنَ الحرَامِ إِلَى الحلاَلِ؛ لِأَنَّهُمْ أَخَذُوا الْعِلْمَ مِمَّنْ وَجَبَ لَهُمُ أَخْذُهُمُ إِيَّاهُ عَنْهُمْ بِالْمَعْرِفَةِ، لِأَنَّهُمْ أَهْلُ مِيرَاثِ الْعِلْمِ مِنْ آدَمَ إِلَى حَيْثُ انْتَهَوْا، ذُرِّيَّةٌ مُصْطَفَاةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، فَلَمْ يَنْتَهِ الْأَمْرُ إِلَيْكُمْ، بَلْ إِلَيْنَا انْتَهَى، وَنَحْنُ تِلْكَ الذُّرِّيَّةُ الْمُصْطَفَاةُ، لاَ أَنْتَ، وَ لاَ أَشْبَاهُكَ يَا حَسَنُ»[2].

---

(١) سورة سبأ: ١٨.

(٢) الاحتجاج: ٦٣/٢، عنه: البرهان في تفسير القرآن: ٥١٧/٤.

وهكذا أنجبت مدرسة أهل البيت عليهم السلام جهابذة الفقهاء، وأفذاذ العلماء، على مرّ العصور وكرّ الدهور، بالرغم من الكبت والتضييق والمخاوف، ممّا لاقته الشيعة دون غيرها من الطوائف، وكانت القرون الأربعة الأخيرة في تاريخ الشيعة من ألمع القرون تطوّراً وازدهاراً، وأكثر الحقب رجالاً، وأثرى الأدوار نتاجاً؛ حيث تزدحم فيها فطاحلُ العلماء وأساطينُ الفقهاء، ويزخر فيها التراثُ بالعطاء، ممّا يستوجب علينا تكثيفَ الجهود العلميّة لإحياء ذكرهم، من خلال تقديم الأبحاث والدراسات، وإقامةِ المؤتمراتِ والندواتِ، عن أبرز تلكم الشخصيّات، وأهمّ أولئك العلماء والأعلام.

ومن ألمع نجوم القرن الثالث عشر هو: الفقيهُ المتتبِّع، الأصوليُّ المتضلِّع، العلّامةُ المتبحِّر، والمصنِّفُ المكثر، الإمام السيّد محمّد الطباطبائيّ الحائريّ الملقّب بـ: المجاهد.

وقد جمع اللهُ في شخصيّته الكريمة جوانبَ فذّة، وخصائصَ عِدّة، منها: الحسبُ الوضّاحُ والنسبُ العريقُ، فوالدُهُ الفقيه الأصوليّ السيّد عليّ الطباطبائيّ الحائريّ، صاحب كتاب رياض المسائل، وجدُّهُ لأُمّه مرجع الطائفة في عصره، الوحيد البهبهانيّ، المعروف بـ: أستاذ الكلّ، وزعيم الحوزة العلميّة، وأستاذُهُ وأبو زوجته الفقيه الكبير السيّد محمّد مهدي الطباطبائيّ، الملقّب بـ: بحر العلوم.

وهو يلتقي في نسبه بأُسر علميّةٍ كآل بحر العلوم، وآل الطباطبائيّ البروجرديّ، ويمتّ بالصلةِ إلى أفذاذِ العلماء، وأساطينِ المجتهدين، أمثال العلّامة المجلسيّ، صاحبِ بحار الأنوار، والملّا محمّد صالح المازندرانيّ، صاحب كتاب شرح أُصول الكافي.

مضافاً إلى ما تمتّع به من مواهبَ ربّانيّة، وبيئةٍ علميّة، وأجواءَ روحانيّة، مفعَمةً بالعلم والتقوى، صقلتْ شخصيّتَهُ العلميّةَ، وما تميّز به من نُبوغٍ وذكاء مبكّر، حتّى قطعَ أشواطَ التحصيلِ في مدّةٍ وجيزة، فدرسَ في حوزةِ كربلاء المقدّسةِ على الفقيه والده، وفي النجفِ الأشرف العريقةِ على الفقيه السيّد محمّد مهدي بحر العلوم، وفي الكاظميّةِ المقدّسةِ على الفقيه السيّد محسن الأعرجيّ، وألقى عصى الترحال في حوزة إصفهان، فصار من كبارِ أعلامها ومدرِّسيها، وبذلك فقد ارتادَ مختلفَ الحوزاتِ العلميّةِ، وأخذ العلومَ من شتّى المدارسِ الدينيّة.

وقد آلت إليه المرجعيّةُ بعد وفاةِ والدهِ زعيمِ حوزةِ كربلاء المقدّسة، فخلفَهُ في الزعامة، واجتمعَ عليه طلّابُ أبيه، والتفّتْ حولَه أماثلُ الطلبةِ، فتسنّم زعامةَ الحوزةِ العلميّة، وتسلّمَ مهامّ المرجعيّةِ الدينيّة، فكانت تردُه الأسئلةُ الشرعيّة والاستفتاءاتُ الفقهيّة من شتّى أقطارِ الدول الإسلاميّة، وصدرت رسالتُه العمليّة التي سمّاها: إصلاح العمل، والتي تُعدّ من أهمّ الكتب الفتوائيّة.

وقد عَمرت بوجوده الشريفِ حوزةُ كربلاء المقدّسة بالعلم، فتتلمذَ عليه جمهرةٌ كبيرة من فطاحلِ العلماء وكبارِ المجتهدين، ومن أهمّهم: الأصوليّ الكبير السيّدُ إبراهيم القزوينيّ، صاحب كتاب ضوابط الأصول، والسيّد محمّد شفيع الجابلقيّ، صاحب الروضة البهيّة في الإجازة الشفيعيّة، والشيخُ حسين الواعظ التستريّ والدُ الفقيه الشيخ جعفر التستريّ، والشيخُ محمّد صالح البرغانيّ، صاحبُ موسوعة بحر العرفان في تفسير القرآن، وأخوه الفقيه الشيخ محمّد تقيّ البرغانيّ، والفقيه الأصوليّ الشيخ محمّد شريف المازندرانيّ، الملقّب بشريف

العلماء، والإمام الشيخ مرتضى الأنصاريّ المعروف بالشيخ الأعظم، صاحب كتاب المكاسب وكتاب الرسائل.

ومن أهمّ الحوادث التاريخيّة في سيرة السيّد المجاهد هي فتوى الجهاد التي أطلقها لحماية ثغور الشيعة، والذبّ عن أعراضهم وأموالهم، وتُعدّ أهمَّ حدثٍ في حياته الشريفة، ومنعطفاً تاريخيّاً مهمّاً في سيرته، بل في تاريخ الشيعة، وعلى أساسها عُرف ولُقّب بـ: المجاهد.

وقد خلّف سيّدنا المجاهد كمّاً هائلاً من التراث العلميّ، أهمّها موسوعته الفقهيّة الشهيرة التي سمّاها المناهل، وموسوعته الأصوليّة التي سمّاها: مفاتيح الأصول، وغيرها من مصنّفاته المهمّة، نحو: الوسائل الحائريّة، الذي دوّن فيه أهمّ القواعد الأصوليّة والفقهيّة، وكتاب المصباح الباهر في إثبات نبوّة نبيّنا الطاهر صلى الله عليه وآله، وكتاب عمدة المقال في تحقيق أحوال الرجال، ورسالة الأغلاط المشهورة، التي تصدّى فيها لتصحيح الأخطاء العقائديّة التي تدور على الألسنة، من غير تحقيق.

وانطلاقاً من جميع ما تقدّم من الأدوار التاريخيّة المهمّة، والخصائص الفريدة، والجوانب المغفولة في شخصيّة السيّد المجاهد، عزم مركز الشيخ الطوسيّ قدس سره للدراسات والتحقيق على إقامة مؤتمرٍ علميٍّ دوليّ، عن السيّد محمّد المجاهد الطباطبائيّ؛ إحياءً لذكراه، وتخليداً لجهوده الجبّارة، ورفداً للمكتبة الإسلاميّة، وسدّ الثغرات العلميّة، عِبر تسليط الأضواء على مختلف جوانب حياته، وسيرته، وشخصيّته العلميّة والجهاديّة.

ومن العجيب أنّ مصنّفات السيّد المجاهد لم تُطبع وتُحقّق طبعاتٍ علميّة

حتّى الآن، والأعجب أنّنا لم نجد كتاباً، أو دراسةً، أو أطروحة، أو مقالةً علميّة عن السيّد المجاهد في المكتبة العربيّة، والفارسيّة، والأجنبيّة، سوى النتف التي لا تُغني ولا تُسمن من جوع، بل وجدنا المصادرَ التاريخيّة شحيحةً بالمعلومات عنه، مضافاً إلى اشتمال بعضها على الأخطاء والهفوات، كما وعثرنا على كلماتٍ وأقاويل غير دقيقةٍ بشأن الفتوى الجهاديّة، وهذا ما يؤكّد بوضوح أهمّيّة إقامةِ هذا المؤتمر.

وكان من أهمّ أهداف المؤتمر: تسليطُ الأضواء على الجوانب المغفولة من سيرة السيّدِ المجاهد وحياتِه، وتسليطُ الأضواء على تراثه العلميّ، وإبراز أهمّيّته، وتحقيق أهمّ مصنّفاته ونشرها، ودراسةُ الدور الريادي في الجهاد للسيّد المجاهد، والردُّ على الشبهات المزيّفة والملفّقة التي تنال من حركته الجهاديّة، وبيانُ عمق تراثنا الفقهيّ والأصوليّ وسعته، والاستفادةُ منه في الأبحاث والدراسات المعاصرة.

وقد قامت اللّجنة العلميّة للمؤتمر بخطواتٍ هادفة ودقيقة في سبيل إقامة المؤتمر على أفضل وجهٍ، وأكمل صورة، وتوزّعت نشاطات المؤتمر على المحاور الآتية:

أوّلاً: محور تحقيق التراث

لمّا كان أكثر تراث السيّد المجاهد لم يُطبع ولم يُحقّق، وقد بادرت بعض المراكز العلميّة بالإعلان عن مباشرتهم بتحقيق كتابيه في علم الأصول، وهما: مفاتيح الأصول والوسائل الحائريّة، عمدنا إلى أهمّ تراثه العلميّ المتبقّي، فتمّ تحقيقه للمؤتمر، وبالإضافة إلى تحقيق كتاب المناهل الذي أخذ مركز الشيخ

الطوسيّ ﷺ على عاتقه تحقيقه ونشره، وقد قطع فيه شوطاً كبيراً، تمّ تحقيق جملةٍ من مصنّفات السيّد المجاهد، وهي ما يأتي:

١. المصباح الباهر في إثبات نبوّة نبيّنا الطاهر ﷺ، وقد تصدّى فيه للردّ على المسيحيّة، وإثبات خاتميّة الإسلام، صنّفه في الردّ على البادريّ وكتابه في ردّ الإسلام.

٢. المقلاد أو حجّيّة الظنّ، وهو من مصنّفاته الأصوليّة، يُطبع بالتعاون مع مركز تراث كربلاء المقدّسة، التابع لقسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة.

٣. عمدة المقال في تحقيق أحوال الرجال، وهو مصنَّفه الرجاليّ.

٤. الجهاديّة أو الجهاد العبّاسيّ، وهي رسالته الفقهيّة التي صنّفها في أحكام الجهاد.

وكلّ هذه المصنّفات ممّا يُطبع ويُحقَّق لأوّل مرّة، سوى عمدة المقال في تحقيق أحوال الرجال.

ثانياً: محور الدراسات

تمّ استكتاب عدّة دراسات مستقلّة عن السيّد المجاهد، وقد حاولنا فيها استيفاء مختلف جوانب شخصيّته العلميّة، من خلال الاستكتاب في أهمّ العلوم التي صنّف فيها، من الفقه، والأصول، والرجال، والحديث، وإبراز دوره في هذه العلوم، وتخصيص دراسات أخرى تبحث في أهمّ الجوانب المغفول عنها من حياة السيّد المجاهد الشخصيّة والعلميّة، وذلك حسب الحاجة العلميّة،

وإصدار أهمّ الدراسات والكتب عنه، وهي ما يأتي:

١. منهل الوارد في تراجم علماء آل السيّد المجاهد.
٢. السيّد عليّ الطباطبائيّ صاحب الرياض حياته وآثاره.
٣. السيّد المجاهد وكتابه مفاتيح الأصول.
٤. تلامذة السيّد المجاهد.
٥. فهرس مخطوطات مؤلّفات السيّد المجاهد.
٦. دليل وثائق مكتبة آل الحجّة في النجف الأشرف.
٧. شذرات في المنهج الفقهيّ للسيّد المجاهد.
٨. السيّد المجاهد وآراؤه الرجاليّة.
٩. السيّد المجاهد دراسة في المنهج الأصوليّ ومسألة الانسداد.
١٠. قاعدة ترك الاستفصال عند الأصوليّين مع تسليط الأضواء على آراء السيّد المجاهد.
١١. السيّد المجاهد وآراؤه في علم دراية الحديث.

ثالثاً: محور البحوث والمقالات

تنوّعت محاور البحوث والمقالات التي كُتبت في شخصيّة السيّد المجاهد ولاسيّما العلميّة منها بتنوّع العلوم والمعارف، من الفقه والأصول، والعقائد والكلام، وعلوم القرآن والتفسير، وعلوم الحديث والرجال، وعلوم اللغة العربيّة، والفهارس والببليوغرافيا، والتاريخ، والتراجم.

فقد تمّ استكتاب أماثل الطلبة والفضلاء في الحوزة العلميّة، وعددٍ من

أساتذة الجامعات العراقيّة في الكليّات ذوات الاختصاص، في بحوث ومجالات خاصّة، وقد تنوّعت المشاركات من مختلف الدول، من العراق، وإيران، والسعوديّة، ولبنان، والكويت، وغير ذلك، كذلك تنوّعت البحوث بتنوّع محاور المؤتمر في مختلف العلوم والمعارف.

رابعاً: محور الإعلام

اشتمل هذا المحور على جهود مختلفة، أهمّها إعداد فلم وثائقيّ عن حياة السيّد المجاهد العلميّة والتاريخيّة.

ولا يطيب لنا في الختام إلّا أن نتقدّم بالشكر الجزيل والثناء الجميل لكلّ من أسهم وآزر في إقامة هذا المؤتمر العلميّ، ولو بالدعاء، فإنّ من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق عزّ وجل، وفي مقدّمتهم: المرجع الدينيّ الأعلى سماحة السيّد عليّ الحسينيّ السيستانيّ (دام ظلّه الوارف)، الذي واكب السيّد المجاهد في فتوى الجهاد المقدّسة، ولولاها لما تهيّأت لنا الظروف لإقامة نحو هذه المؤتمرات، ونبتهل إلى العليّ القدير أن يُديم ظلّه الشريف.

ونخصّ بالذكر أيضاً: المتولّي الشرعيّ للعتبة العبّاسيّة المقدّسة، سماحة السيّد أحمد الصافي (حفظه الله)، وجميع السادة الأفاضل من المدراء والمسؤولين في العتبة العبّاسيّة المقدّسة، على مشرّفها آلاف السلام والتحيّة.

والشكر موصولٌ لجميع الجهات المساهمة في إقامة هذا المؤتمر، من المؤسّسات والمراكز العلميّة، والمكتبات الإسلاميّة، ونخصّ بالذكر منهم:

١. مركز إحياء التراث، التابع لدار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة.

٢. مركز تصوير المخطوطات وفهرستها، التابع لدار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة.

٣. مركز تراث كربلاء المقدّسة، التابع لقسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة.

والشكر إلى المشايخ والسادة الأفاضل في اللجان العلميّة، والكوادر الفنّيّة، والعاملين في مركز الشيخ الطوسيّ، وجميع الأيادي المساهمة في إقامة المؤتمر، ممّن لا يتّسع المقام لذكرهم وعدّهم، فلهم منّا خالص الشكر وفائق التقدير، ونسأل الله العليّ القدير أن يتقّبل منهم ويُثيبهم، ويجزيهم خير جزاء المحسنين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

إزالة «خطأ» أو «تزوير تاريخي»

دراسة تحليليّة حول الحركة الجهاديّة للسيّد المجاهد قدس سره

الأستاذ علي أبو الحسني (منذر)

إعداد محمّد صادق أبو الحسيني

الحوزة العلميّة -قم المقدّسة

ترجمة السيّد محمّد العمدي

مركز الشيخ الطوسي للدراسات والتحقيق

الملخّص

تتعرّض هذه الدراسة لفتح السيّد المجاهد فصلاً جرى في تاريخ مناهضته الاستعمار وتوجّهه الشخصي إلى الجهاد، على رغم أنّ مساعيه تلك لم تتكلّل بالنجاح المطلق، حيث تسبّبت الخيانات التى حدثت من بعض أمراء الجيش وقادته بالإضافة إلى بعض الظروف التي أحاطت بجهاد الإيرانيين للروس الذين احتلّوا آذربايجان التي كانت حينها تحت سلطة الدولة القاجارية- بهزيمة إيران ورجوع السيّد من الحرب منكسر الفؤاد متمّاً مما أدّى إلى وفاته كمداً.

وتسعى إلى رفع شبهة أنّ السيّد المجاهد والعلماء هم الذين كانوا السبب في

دفع الملك القاجاري فتحعلي شاه لترك المعركة الخاسرة- الحرب الثانية مع الروس سنة ١٨٢٦م – ١٨٢٨م ، وبعد مقدّمة حول سيرة السيّد المجاهد تبدأ المقالة بتمهيد عن سرّ العلاقات الإيجابية لعلماء الشيعة مع القاجاريّين ، وتسرد الكلام عن الأسباب الرئيسة لهزيمة إيران أمام روسيا، ثمّ تتعرّض لذكر أقوال المؤرّخين العلمانيّين الذين حمّلوا السيّد المجاهد أوّلاً وبالذات والعلماء ثانياً مسؤولية خسارة إيران أمام الروس، وتناقش الأفعال التي دونت في ذلك الصدد، وتقوم بردّه بنصوص تاريخيّة وتحليلات دقيقة لمؤرّخين آخرين، وبالرجوع كذلك إلى المدوّنات التي كتبت في نفس الحقبة، ومن ذوي الشأن في الأساس لتلك المعارك كعبّاس ميرزا نفسه ومعاونيه، ومؤرّخي تلك الفترة كقائم مقام الفراهاني وميرزا محمّد صادق وقايع نگار، وكذلك الرجوع إلى مستندات ووثائق إيرانية روسية وإنكليزية من ذات الفترة.

المقدّمة

يعدّ آية الله العظمى السيّد محمّد الطباطبائي، المشهور بالسيّد المجاهد، من مراجع عصر فتح علي شاه الكبار، وهو الذي ذهب في جهاد الجيش القيصري الروسي إلى أبعد من مرحلة إصدار حكم الجهاد.

إذ لم يكتف بفتح فصلٍ جديد في تاريخ مناهضة الاستعمار فحسب، من خلال الحكم الذي أصدره في باب لزوم دفع عدوان جيش الكفر عن حدود الوطن الإسلامي، بل إنّه توجّه شخصيّاً من العراق إلى إيران مع جمع كبير من العلماء والمجتهدين إلى الجبهة.

فبعث - بعمله هذا - في قلوب المقاتلين الحماس، حتّى استطاعوا أن يسترجعوا المناطق المحتلّة الرئيسة في بضع أسابيع، على رغم أنّه - فيما بعد - وبسبب الهشاشة، وعدم كفاية المستلزمات، والخيانات المتكرّرة من مسؤولي المراكز القياديّة وقادة الجند، بالإضافة إلى الأعمال التخريبية للعناصر المندسّة، فقد انتهت تلك الحرب بهزيمة ايران.

إنّ حالات الفشل تلك وقلّة المؤن والعُدد والخيانات المذكورة هيّأت سبب اليأس والانزواء لفقيه الشيعة ومحطّم الطاغوت المرحوم السيّد المجاهد. وللأسف فإنّ أعداء الإسلام وبعض رجال الدين - بإشاعاتهم غير الصحيحة ضدّه - قد هيّأوا الأرضيّة لانزوائه أكثر من ذي قبل.

وهكذا فإنّ السيّد المجاهد - الذي كان قلبه ينبض من أجل حريّة ايران وإعمارها-، وفي حدود سنةٍ قبل انتهاء الحرب ونهاية المفاوضات تكدّر وأيس وابتعد عن مواصلة عمله الجهاديّ بسبب إهمال وإعاقة المسؤولين الإيرانيّين في مقاومة جيش الروس والخسائر الناتجة عن ذلك.

وأخيراً مات من شّدة الحزن.

ومع الأسف، فإنّ المؤرّخين العلمانيّين في كتابة تاريخ إيران المعاصر لم ينصفوا في تدوينه، وبدلاً عن أن يقدّموا التحليل الصحيح لهزيمة إيران في الحرب مع روسيا، فقد ألقوا ذنب هذا الفشل على رائد هذا الجهاد والاجتهاد آية الله السيّد المجاهد وبقيّة رفاقه الفقهاء.

وسعى بعض من المؤرّخين العلمانيّين إلى أن يظهروا عبّاس ميرزا والبلاط الحاكم، على أنّهم معارضين لاستئناف الحرب مع روسيا، وقالوا بأنهم اضطروا لاتّخاذ خطوة الحرب مجدّداً مع الروس، بسبب ضغوطات العلماء، وخاصّة السيد المجاهد، وهذه الخطوة هي التي استتبعت فاجعة تقسيم إيران، وإبرام معاهدة تركمنشاي.

ولكنّ الحقيقة شيءٌ آخر!

فعلى رغم طرح هذه الشائعات والاتّهامات، فإنّ المستندات والوثائق التاريخيّة المعتبرة تدلّ على أنّ حكومة القاجار هذه، وعلى رأسها فتح علي شاه شخصيّاً، وعباس ميرزا كانوا في الحروب العمياء الأولى بين إيران والروس يائسين من الدعم الجدّي من منافسي روسيا - فرنسا وإنكلترا - لإيران، مع نقص العتاد الشديد من أجل مواصلة مقاومة الجيش القيصري - فقد مدّوا يد

الاستعانة إلى علماء إيران والعراق، وأصّروا - من خلال إرسال الرسل وتقديم التقارير عن جرائم الروس الوحشيّة في المناطق المحتلّة التي يقطنها المسلمون وطمع القيصر بالمناطق الإسلاميّة الأخرى من إيران - على مطالبة العلماء بأن يهيّئوا الأرضيّة للتعبئة العامّة للأمّة من أجل ملء ميادين الحرب.

وهذه الدراسة - باستنادها إلى الوثائق المعتبرة- تذهب إلى أنّ عبّاس مرزا كان موافقاً على استئناف الحرب بين ايران وروسيا، وقد كان يمهّد الأرضيّة للبدء بالحروب (الثانية) أيضاً.

وهذه المقالة - مع بيان المقامات العلميّة والمعنويّة للسيّد المجاهد - قد تعرّضت لإيضاح الشكوك والشبهات المذكورة سابقاً من أجل إزالة الغبار عن صورة آية الله السيّد المجاهد وإيضاح حقائق التاريخ، والمأمول أن تفيد المعنيّين بالتاريخ.

١- الأسرة والولادة:

السيد محمد بن مير سيّد علي بن السيّد محمد علي الطباطبائي الحائري الأصفهاني، المعروف بالسيّد المجاهد، من فقهاء الشيعة المتصدّرين في القرن الثالث عشر الهجري، وسبب تسميته بـ «السيّد المجاهد» هو أنّ صدور فتوى جهاد الجيش القيصري المعتدي، وأنّ القيادة والزعامة الدينيّة للشعب الإيراني في حملة مجاهدة الجيش الروسي، كانت بعهدة هذا الصلب الحرّ الكريم.

فتح عينيه على الدنيا في كربلاء المقدّسة في سنة ١١٨٠ هـ[1]، والده آية الله

(١) روضات الجنات: ١٤٥/٧.

السيّد علي الطباطبائي، والمعروف بـ«صاحب الرياض» من الفقهاء المشهورين في أوائل القرن الثالث عشر، وقد كانت أمّه سيّدةً عالمة فقيهة وهي ابنة آية الله الشيخ الوحيد البهبهاني، كبير فقهاء الشيعة في القرن الثالث عشر.

يكتب التنكابني عن والدته المكرّمة قائلاً:[1] «والسيّد المجاهد - فضلاً عن الأمّ - له نسبة بالوحيد البهبهاني من جهة الأب، فوالده المعظّم - بالإضافة إلى أن البنت المكرّمة للوحيد البهبهاني كانت زوجته. فهو أيضاً ابن أخت الوحيد البهبهاني، فهو خاله، وعليه فإنّ الوحيد البهبهاني من جهةٍ هو أبو أمّ السيّد المجاهد ومن جهةٍ أخرى هو خال أبيه.

وزيادة على شرف الانتساب النسبي لصاحب الرياض وللوحيد البهبهاني فلديه كرامة الانتساب السببي إلى أستاذه الكبير الفقيه البارع والعالم التقيّ المرحوم المقدّس والمحقّق السيّد بحر العلوم، فقد كانت البنت الصالحة للسيّد بحر العلوم زوجة السيّد المجاهد»[2].

وأنجب منها ثلاثة أولاد أكبرهم وأعزّهم العالم الكامل صاحب المكارم والأخلاق الآقا السيد حسين (زوج ابنة شيخ الملوك ابن فتح علي شاه)، وقد توفّي بعد مدّة قليلة من وفاة والده السيّد المجاهد[3].

٢- في محضر الأساتذة:

أتمّ السيد المجاهد دروسه [في] العلوم الدينيّة في مسقط رأسه كربلاء

(١) قصص العلماء: ١٢٧، ١٢٨.

(٢) قصص العلماء: ١٢٥.

(٣) الفوائد الرضويّة: ٥٨١. نقلاً عن تلميذ السيد المجاهد السيّد محمد شفيع.

المقدّسة عند أساتذة كبار كوالده المعظّم صاحب الرياض ووالد زوجته السيّد بحر العلوم وكان لديه إجازة اجتهاد من والده، ومن السيّد بحر العلوم،ومن الشيخ جعفر كاشف الغطاء[١].

ويعبّر - في مؤلّفاته عن السيّد بحر العلوم - بـ «السيّد الأستاذ»[٢].

وعلى كلٍّ فقد جاء السيّد من كربلاء إلى إيران في حياة والده، وشرع في إصفهان - التي كانت في ذلك الزمان من العواصم الأساسيّة للفقه والفقاهة - بالتدريس والتأليف وتربية الطلّاب والفضلاء. وصار «مرجع استفادة أفاضل تلك النواحي»[٣].

حتّى وصله خبر وفاة والده المعظّم، فعزم على الفور بالرجوع إلى العراق. وأقام مدّةً في الكاظميّة، واشتغل بأداء مهامّه العمليّة[٤].

٣ - الآثار القيّمة:

ترك السيّد كتباً قيّمة أعرفها مفاتيح الأصول في أصول الفقه وكتاب المناهل في الفقه، وبسببه عرف السيّد بـ «صاحب المناهل»، ولديه آثار أخرى، نحو جامع العبائر في الفقه، والأغلاط المشهورة، وإصلاح العمل، والمصباح الباهر، والوسائل إلى النجاة.

يقول السيّد محمد شفيع تلميذ السيد المجاهد: «السيّد المجاهد له كتب حسنة

(١) قصص العلماء: ١٢٩.

(٢) روضات الجنات: ١٤٥/٧.

(٣) ريحانة الأدب: ٤٠١/٣.

(٤) المصدر نفسه.

في الفقه والأصول ومن جملتها كتاب المفاتيح ... ٧٠٠ ألف بيت[١] أو أكثر».[٢]

ويضيف الشيخ عبّاس القميّ بعد ذكر عبارة السيّد محمد شفيع السابقة: «وقد رأيت أنا كتاب المصابيح الشامل لأحكام الجهاد بخطّ يده».[٣]

وأورد التنكابني عن المرحوم الحاج محمد صادق البرغاني والذي كان من تلامذة السيّد محمّد: «لم يؤلِّف في المتأخِّرين أحد أكثر من أستاذي السيّد محمّد وكان لديه ليلاً ونهاراً ستّة تأليفات»[٤].

٤- المقام الشامخ العلمي والتاريخي

كلّما ذكر علماؤنا وفقهاؤنا السيّد المجاهد مدحوه وذكروه كشخصيّة علميّة وفقهيّة متميّزة وبارزة، فأستاذ الفقاهة الأعظم الشيخ مرتضى الأنصاري، الذي هو من تلامذة السيّد، وممّن تربّوا على يده، يعبّر عنه في آثاره، ومنها كتاب الرسائل: بـ «سيّد أساتذتنا»، وتلميذه الآخر السيّد محمد شفيع البروجردي يقول عنه، كما في الروضة البهيّة: «سيّدنا وأستاذنا وشيخنا المعظّم وملاذنا المقدّم»[٥].

وذكره صاحب قصص العلماء فقال: «السيّد السند والمقتدى والمستند والعالم المجّد والفقيه الأمجد والأعلم والأورع...»[٦].

(١) يصطلح القدماء بـ«البيت» على مجموع خمسين حرفاً وهو ما يساوي سطراً.

(٢) الروضة البهيّة: ١٦.

(٣) الفوائد الرضويّة: ٥٨٢ وينظر أيضاً: قصص العلماء: ١٢٦.

(٤) قصص العلماء: ١٢٧.

(٥) الفوائد الرضويّة: ٥٨١.

(٦) قصص العلماء: ١٢٥.

وذكره الخوانساري في روضات الجنات، فقال: «العالم الخبير والسيد الكبير مولانا الاقا سيّد محمّد»[1].

وكذلك المحدّث القمي من المعاصرين فقد قال عنه «السيّد الأجلّ الأعظم الأكرم الأفخم البحر الزاخر والسحاب الماطر الفائق على الأوائل والأواخر»[2].

وعدّه صاحب ريحانة الأدب أحد «مشاهير علماء الإماميّة أواسط القرن الثالث عشر الهجري»، وعبّر عنه بـ «الفقيه الأصوليّ المتبحّر الأديب الماهر العابد الزاهد»[3].

ويعتبر السيّد المجاهد من الأساتذة البارزين الأوائل للشيخ الأعظم الأنصاري، فقد استفاد من محضره أربع سنوات كاملة، وكذلك من درس الفقيه المميّز الآخر: شريف العلماء[4].

وكان له دور بارز في اكتشاف مواهب الشيخ الأنصاري، وفي لقائه الأوّل بالشيخ الأنصاري - و لم يكن حينها سوى طالب شابّ في كربلاء- عرف استعداده النادر للوصول إلى المقامات العالية العلميّة والمعنويّة والاجتماعيّة، وصرف أباه عن الرجوع به إلى إيران.

وعن اللقاء الأوّل للسيّد المجاهد بالشيخ الأنصاري واهتمامه الخاصّ بتربيته

(١) روضات الجنات: ١٤٥/٧.

(٢) الفوائد الرضويّة: ٥٧٩.

(٣) ريحانة الأدب: ٤٠١/٣.

(٤) زندگانى وشخصيت علمي شيخ انصاري قدس سره: ٦٤.

فقد كتبوا أنّ الشيخ في ١٢٣٢هـ في سنّ الثامنة عشرة توجّه مرافقاً لوالده من دزفول، قاصداً التشرّف بالأعتاب المقدّسة في العراق، قال الشيخ حسين الأنصاري (أستاذ الشيخ مرتضى)، الذي كان واحداً من كبار هذه الأسرة ومعدوداً من جملة علماء عصره للشيخ محمد أمين والد الشيخ -: زر السيّد المجاهد في كربلاء، وأبلغه سلامي.

السيد محمّد المجاهد ابن السيّد علي صاحب الرياض من رؤساء الحوزة العلميّة، وكان مرجع تقليد لكثير من الشيعة، وقد كان زميلاً للشيخ حسين الأنصاري، وقد درس عند صاحب الرياض، وكما قال الشيخ حسين، فقد التقى الشيخ محمد أمين بالسيّد المجاهد، قال السيّد: سمعت أنّ أخي الشيخ حسين يقيم صلاة الجمعة في دزفول، فوجد الشيخ مرتضى - والذي كان قد جلس في أدنى المجلس - الفرصة مناسبة لبحثٍ علميٍّ مع السيّد، فقال: أَوَ في وجوب صلاة الجمعة ترديد؟ ثمّ أورد اثني عشر دليلاً تقريباً على وجوبها، حتّى صار وجوبها عند السيّد والحاضرين مسلّماً، ولكنّه رجع وردّها ونقضها بأجوبة كافية ومتقنة، حتّى بلغ تفاجؤ السيّد وتعجّبه والحاضرين مبلغاً، وسأل السيّد - و لم يكن حينها يعرف الشيخ - والده عن اسمه، فأخبره به.

وقد استحسن السيّد المجاهد طريقة بيانه لاستدلاله، ورأى فيه محصِّلاً ذا ثمانية عشر عاماً بتلك القريحة الجيّدة، فأدرك أنّ هنالك نبوغاً فكريّاً مودعاً فيه، ولابدّ أن يتعلّم في حوزة علميّة ككربلاء حتى ينتفع أكثر فسأل والد الشيخ الأعظم الأنصاري: لماذا جئت به؟ قال: للزيارة، فقال السيّد: إنّ له استعداداً خارقاً، فيلزم أن تتركه في كربلاء لإكمال درسه، وأنا شخصيّاً سأتكفّل بعهدة مصاريفه، فترك الشيخ محمّد أمين ولده في كربلاء، ورجع هو إلى دزفول.

أقام الشيخ أربع سنوات كاملة في كربلاء، وشرع في تعلّم العلوم عند السيّد المجاهد، وعند شريف العلماء المازندراني، إلى أن أُمِر الوالي الجديد على بغداد من قبل البلاط العثماني بمحاصرة كربلاء والاستيلاء عليها؛ وبسبب ذلك انكفأ أهل العلم وأغلب أهل كربلاء إلى الكاظميّة[1].

وروي كلام السيد المجاهد عن الشيخ على نحوٍ آخر: «هذا الشاب لديه نبوغ ذاتي فاستودعوه صاحب هذه القبّة وأشار إلى قبّة الإمام الحسين عليه السلام»[2].

٥ ـ تحليل تهمةٍ حول السيّد المجاهد قدس سره:

شهدت إيران أوائل القرن الثالث عشر الهجري اعتداء روسيا على حدودها.

وقد سجّل في تاريخ إيران حربان بين إيران وروسيا، وكلتاهما - لأسباب مختلفة - انتهتا بالهزيمة العسكريّة لإيران، وانفصال القفقاز عن تراب هذا البلد، وقد حصلت هاتان الحربان في مرحلتين:

الأولى: ما بين سنوات ١٢١٨هـ حتى ١٢٢٨ هـ/ ١٨٠٣م حتى ١٨١٣م، والثانية في (١٢٤١ هـ حتى ١٢٤٣ هـ/ ١٨٢٦م - ١٨٢٨م).

وتجدر الإشارة أنّ هذه الحروب - بمجموعها - كانت ١٢ سنة، وأصل النزاع في هذه الحرب أساساً حصل في ناحية القفقاز، المنطقة الحدوديّة الشماليّة الغربيّة لإيران.

(١) زندگاني وشخصيت شيخ انصاري قدس سره: ٦٤، مع قليل من التصرّف والتلخيص في الألفاظ.
(٢) زندگينامه استاد الفقهاء شيخ انصاري قدس سره. الدكتور ضياء الدين سبط الشيخ: ٨٣.

مع الأسف الشديد فإنّ بعضاً - بعد تقسيم القفقاز - سجّلوا هذه الهزيمة باسم آية الله السيّد المجاهد الذي أصدر حكم الجهاد وحضر هو شخصيّاً في الجبهة، وحسب ادّعائهم فإنّ عباس ميرزا والقائمقام - اللذين كانت مسؤوليّة الحرب بعهدتهما - لم يكونا موافقين على استئناف الحرب، وإنّهما إنّما خضعا لذلك تحت ضغط العلماء والعوامّ!

وعليه، فإنّ السيّد المجاهد وسائر العلماء المُقَدَّمين هم المتحمّلون لكلّ الأضرار والخسائر التي مرّت بها بلادنا على أثر الحرب!

وقد عزمنا في هذه الدراسة على أنّ نزيل غبار التحريف عن صورة آية الله السيد المجاهد، ونشرح بدقّة جذور تلك الشائعات العجيبة، ولهذا الغرض سنبدأ بهذا السؤال:

حقاً! ما هو سرّ العلاقات الإيجابيّة لجماعة من علماء الشيعة مع القاجاريّين؟ وما هو سبب ثقة السيّد المجاهد الأوّليّة والمشروطة بالقاجاريّة وعباس ميرزا؟ ثم نتحدّث عن شبهة معارضة عباس ميرزا لاستئناف الحرب مع الروس ونجيب عليها، ومن الله التوفيق وعليه التكلان.

١-٥: سرّ العلاقات الإيجابية لعلماء الشيعة مع القاجارية:

في تحليل العلاقات والأحداث «الإيجابية» للعلماء مع السلطنة القاجاريّة يمكن أن يقال: إنّه وبعد استقرار واستحكام السلطنة القاجاريّة تخلّصت إيران من هرج ومرج وفتنة عشرات السنين بعد انقراض الصفوية في الداخل، وكذلك من طمع واعتداء العثمانيّين والأفاغنة شرق وغرب إيران[1]، واستتمالة

(١) لا بدّ أن لا يُنسى أنّه في نفس عصر فتح علي شاه صُدَّتْ عدّة من اعتداءات من الجيوش ←

من بقي من آل (نادر افشار) في خراسان، وفي المقابل أضحت إيران في مرمى اعتداء قوّة كبيرة وجديدة، وهي روسيا القيصريّة، التي كانت تبدو أسوء بمئة درجة من منافسي الداخل، ومن الأفاغنة السالفي الذكر.

وكذلك؛ فإنّ التقدّم السريع والمتزايد للقوّات الإنجليزيّة في الهند باتّجاه الحدود الأرضيّة والبحريّة لإيران أيضاً قد زاد جدّاً في عتمة وضبابيّة مستقبل المناطق الجنوبيّة والشرقيّة لها.

ولم تكن هذه المسائل عاديّة، حتّى تخفى عن أعين علماء الشيعة الحادّة، وخاصّة مراجع التشيّع في عراق العرب، فإذا لاحظنا مثلاً ما يصف به الشيخ كاشف الغطاء في ديباجة «كشف الغطاء» فتح علي شاه، فهو للملاحظة الدقيقة لهذه النقاط المهمّة والأساسيّة في السياسة الداخليّة والخارجيّة لإيران الإسلاميّة (مهد التشيّع).

ومع هذا فسابقة القاجار الحسنة، وهي قبيلة من قوّات القزلباش في العصر الصفوي، وسلالة القاجار (التي برز منها فتح علي خان القاجار مؤدّب ابن شاه

→

والقوّات الأفغانيّة على أرض إيران – والتي كانت كلّ واحدة منها كفيلة بأن تكون فاجعة على الاستقلال والسلامة الإقليميّة والسياسيّة لبلادنا – بالقوّة، وبيد أولاد الشاه (فتح علي) الكبار، كحرب عباس ميرزا مع چوبان أوغلي باشا، القائد العثماني المشهور، والذي كان في ركابه مئة ألف راكب وراجل، وحرب محمد علي ميرزا أخي عباس ميرزا مع سليمان پاشا كميا، والتي انتهت بإذلال واعتقال سليمان، وأخيراً حرب حسن علي ميرزا شجاع السلطنة مع فتى خان أفغان (الذي أغار بخمسين ألف راكب من قندهار وكابل على هرات وخراسان وهُزم جيشه ما بين تربت وهرات) ينظر: تاريخ نو، جهانگير ميرزا، ص٢، تاريخ سياسي واجتماعي إيران در دوره معاصر، سعيد نفيسي: ٢٠٢/٢-٢٠٤.

سلطان حسين الصفوي في أحلك الظروف عند سقوط أصفهان على يد محمود الأفغان)، مع «السلامة النسبية» لفتح علي شاه، بالقياس إلى حزم آغا محمد خان قاجار، وسياسته المبنيّة على إيجاد علاقات جيّدة وواسعة مع العلماء، وتقوية الشعائر، والمؤسّسات والمراكز الدينيّة، ووجود رجال مستقلّين وطنيّين متديّنين، أمثال الحاج محمد حسين خان المروي باني مدرسة ومسجد المروي في طهران ونديم فتح علي شاه، والميرزا محمد شفيع مازندراني «نائب السلطان» فتح علي شاه، وقد كان له سابقة طلب علم، وميرزا بزرگ الفراهاني، قائمقام الصدر الأعظم «نائب السلطان»، وأمير نظام زنكنه، وحسام السلطنة،[1] وفريدون ميرزا[2] في جهاز الدولة.

كلّ ذلك قد حلب أنظار العلماء الإيجابيّة إلى الحكومة، والوقوف بجانبها تماماً في تلك المرحلة الحسّاسة، والذي نرى ظلاله في دفاع ومدح كبار العلماء لفتح علي شاه القاجار، مثل الشيخ النراقي في معراج السعادة، والشيخ كاشف الغطاء في كشف الغطاء لفتح علي شاه، وأيضاً الوقوف دون خوض البلاط في دماء «الشيخيّة» و«الأخباريّة» و«الصوفيّة»، وفوق ذلك تعبئة الإمكانات الحكوميّة في سبيل مواجهة شبهات وإعلام الوفود التبشيريّة (مثل هنري مارتين)،[3] وكذلك ردّ خطر الفرق المنحرفة، والاستعماريّة الجديدة، كالوهّابيّة

(١) ابن فتح علي شاه الذي كتب آية الله السيد جعفر الكشفي كتابه تحفة الملوك باسمه.

(٢) ابن عباس ميرزا.

(٣) هنري مارتين المأمور العقدي للاستعمار الإنجليزي في إيران، وأعماله ضد الإسلام -في بلادنا زمن فتح علي شاه برعاية شركة الهند الشرقية الإنجليزية وسفراء الانجليز في إيران وموقف العلماء منه -ينظر: البحث الممتع للدكتور عبد الهادي الحائري في: نخستين روياييهاي انديشه گران ايران با دو رويه تمدن بورژوازي غرب، ص٥٠٧، وما بعدها.

والبابيّة عن المجتمع الشيعي، كلّ ذلك أسباب ومؤثّرات أخرى كانت توجب وجود علاقات للعلماء مع فتح علي شاه وبلاطه.

ب: الوجه السلبي!

ولكنّ الحديث عن العلاقات والأحداث بين العلماء والسلطنة القاجارية لا يقف عند هذا الحدّ، فهنالك وجه سلبيّ إضافة إلى الإيجابي.

لأنّ الحكومة القاجاريّة في ذلك الوقت (وخاصّة بعض من عمّالها وموظّفيها الكبار والصغار في المدن المختلفة) كانت لديها تصرّفات عنجهيّة وغير رحيمة كثيرة مع الناس والعلماء، ممّا كان يثير ردّ فعل سلبيّ واعتراضي من قبل الشعب ورجال الدين.

ومع الأسف فإنّه كلّما ابتعدنا عن بدايات الحقبة القاجاريّة – وخصوصاً من عهد مرجعيّة السيد المجاهد – واقتربنا من عصر مرجعيّة الميرزا الشيرازي، فإن نطاق هذا الانفصال وعمقه كان يزداد حتّى تجلّى بشكلٍ أكبر في فترة نهضة تحريم التنباك، وخصوصاً «المشروطة».

ومن أهمّ وأبرز الأسباب التي أدّت إلى ابتعاد العلماء عن القاجاريّين، بحيث كان له دورٌ خاص عند السيّد المجاهد هو عبارة عن الهزيمة والتراجع الفاحش لجيش إيران في المرحلة الثانية لحروب إيران والروس، وفقدان عدّة مدن حدوديّة مهمّة في شمال آذربايجان، ممّا استتبع طعن ولوم كثير من الناس للعلماء المشاركين في الحرب، خاصّة السيّد المجاهد[1].

---

(١) الروضة البهية في طرق الشفيعية، حاجي سيد شفيعا، القسم المرتبط بذكر السيّد المجاهد ص١٤، ←

أمّا العلماء فقد كانوا يرون هذه الهزيمة والتراجع ناشئةً عن الصلح السرّي بين القائد الأعلى للحرب مع روسيا المعتدية[1].

ويلاحظ موارد أخرى أيضاً حول سبب ابتعاد العلماء ومواقفهم مع الحكومة القاجارية في النصف الأوّل من عمر تلك السلسلة، ذكر منها هذا الكاتب اثني عشر مورداً على الأقل في كتابه تراز سياست[2].

٢-٥: الأسباب الرئيسة لهزيمة إيران أمام روسيا:

كان عباس ميرزا معدوداً من الرجال ذوي السمعة الحسنة والمطالبين بالتحضّر والمدنيّة من القاجاريّين، وقائمة أعماله عموماً لا تخلو من حرقة قوميّة ووطنيّة وتمايل للدين والعدالة، وذِكر ونقد إجراءاته في إعمار وازدهار آذربايجان، ومواجهة العدوان الروسي والعثماني يحتاج إلى كتاب مستقلّ.

وكان يتمتع بمعونة ودعم رجلين كبيرين دينيّاً وسياسيّاً آنذاك: آية الله العظمى الميرزا مهدي القاضي الطباطبائي، (جدّ العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان)، وميرزا بزرگ الفراهاني (والد القائم مقام فراهاني المشهور)، ولكنّه يبدو أنّ وفاة هذين الرجلين الماهرين والعظيمين (توفيا في الفترة الفاصلة

→

قصص العلماء. ص: ١٢٨ - ١٢٩، فارسنامه ناصري، فسايى: ١ /٧٣٢، وقايع نگار، منش عباس ميرزا، ويتحدث حتى عن عزم بعض الأشخاص في تبريز على اغتيال السيد المجاهد، تاريخ جنگهاي إيران وروس، ياد داشتهاي ميرزا محمد صادق وقايع نگار «هما» مروزي...، تصحيح أمير هوشنگ آذر، ص ٢٥٠ - ٢٥١.

(١) زندگينامه استاد الفقهاء شيخ أنصاري، ضياء الدين سبط الشيخ، ص٥٣ و١٣٦.

(٢) تراز سياست، علي ابو الحسني (منذر): ١٥٠ - ١٦٣.

ما بين الحروب الأولى والثانية بين إيران والروس) حرمت ميرزا عباس من فيض متابعتهما وإرشادهما في اللحظات الحرجة في الحرب الثانية.

وينضمّ إلى هذا الأمر أمور أخرى مثل:

* تردّد الحكومة المركزية في الإرسال السريع للميزانية وعتاد الجبهة[1]، وكذلك طلب فتح علي شاه للراحة، وعدم حضوره المستمرّ في الجبهة، ورجوعاته المتكرّرة إلى طهران في فصل الشتاء، ممّا كان يعطي الفرصة لتجديد العدوّ الشرس لقواه وجبران لهزائمه[2].

* تناقض وعدم انسجام أفواج الجيش، الذين قدموا من أنحاء البلاد المختلفة، وجزء منهم كانوا فاقدين للاستعدادات والتعاليم اللازمة للحرب[3].

* ضعف وفرار بعض من الجنود وقادة الجيوش أمام هجوم العدوّ[4].

---

(١) ينظر في هذا المجال مثلاً: آهات وحسرات عباس ميرزا في رسالته -التي بقلم القائم مقام. مخاطباً آصف الدولة في أواخر رمضان ١٢٤٢هـ والمؤرخة في نامه هاي پراكنده قائم مقام، القسم الأول، ص٨٩ - ٩١، وكذلك رسالة القائم مقام إلى منوچهر خان ايج آقاسي باشي المدرجة في منشآت قائم مقام، بمقدّمة وتصحيحات وتنظيم فهارس وفرهنگ بقلم محمد عباسي، ص١٣٢ - ١٣٣.

(٢) لأجل معرفة الآثار السيئة لهذا الأمر، ينظر: تاريخ جنگهاي ايران وروس (آهنگ سروش) ياد داشتهاي ميرزا محمد صادق وقايع نگار «هما» مروزي از آغاز تا عهد نامه تركمانجاي، جمع: حسين آذر، تصحيح أمير هوشنگ آذر، ص٢٦٤ - ٢٦٥.

(٣) يراجع: رسالة عباس ميرزا بقلم قائم مقام بعد مقتل گريبايدوف إلى ميرزا موسى خان فراهاني (أخو القائم مقام)، مدرجة في سياستگران دوره قاجار، خان ملك ساساني، ٣١/٢، نامه هاي پراكنده قائم مقام، بسعي جهانگير قائم مقامي، القسم الثاني، ص٦٥.

(٤) ينظر: بهذا الخصوص قصيدة قائم مقام البديعة التي مطلعها: «آه از اين قوم بي حميت وبيدين» في منشآت قسم الأشعار، ص١٠٨ - ١١٢.

* عدم الدقّة والحذر الكافي من أجل الحفاظ على الأسرار العسكرية[١].

* تحاسد أولاد الشاه في ما بينهم[٢]، وعمل كلٌّ منهم ضدّ الآخر، وكذلك بعض من أهل البلاط عند عباس ميرزا[٣].

* خلوّ كرسيّ الصدارة من شخصية مستقلّة ومتديّنة ومشفقة مثل الميرزا محمّد شفيع المازندراني.

* نفي شخصيّةٍ مثل قائم مقام من تبريز إلى طهران، وعزله ومصادرة أمواله على أعتاب بداية الحرب (سنوات ١٢٣٩ - ١٢٤٠ هـ. ق)[٤].

* خيانة بعض من أهل البلاط مثل أبو الحسين ايلچي[٥].

---

(١) ينظر: سفر در إيران، كاسپار درووِيل، ترجمه منوچهر اعتماد مقدم، ص٢٥٣ - ٢٥٦.

(٢) مك دونالد، سفير الانجليز في بلاط فتح علي شاه.

كتب في ٢٢ فبراير ١٨٢٥م إلى دولة الهند البريطانية: «لا يوجد محبة أخوية بين أولاد الملك، وإبهام مستقبل وراثة السلطنة لا يترك سبيلاً غير الجهد من أجل الوصول للتاج والعرش، إذ إنّه في ما عدا ذلك يمكن أن يخسروا أرواحهم. والملك أيضاً بتحفيز المنافسة بينهم يسعى لإيجاد توازن بين أبنائه.

ينظر: انفصال هرات باگوشه هاي از روابط خارجي ايران (١٢٠٠ - ١٢٨٠ هـ.ق)، منصوره اتحاديه (نظام مافي)، ص٦٠.

(٣) القائم مقام في مثنوي «جلاير نامه» شرح أنواع التخريبات بخصوص إيصال المؤن إلى قوات عباس ميرزا، ينظر: قائم مقام في عالم الأدب والسياسة، باقر قائم مقام، ص٨٠ - ٨٢.

(٤) قائم مقام نفسه في **رساله شكوائيه** منشآت ص٣٣٢ - ٣٤٩ يقدّم شرحاً مؤلماً عن حاله شخصيّاً في تلك الأيام.

(٥) للاطلاع على نموذج من خياناته في حرب إيران والروس، ينظر: تاريخ جنگهاي ايران وروس، ياد داشتهاي ... وقايع نگار... ص١٣٤ - ١٣٩.

* خيانة ومكر مجموعة من الأرمن[١].

* خيانة بعض من أمراء وقادة الحرب[٢].

* خبث ومكر الإنجليز.

* خداع واحتيال الروس.

وأخيراً...

* تخبّط وإهمال عباس ميرزا نفسه أثناء الحرب[٣].

كلّ ذلك ممّا هيّأت أسباب إضعاف وهزيمة القوّات الإيرانيّة أمام روسيا، وأخيراً خلع ميرزا عباس لامته لإنهاء الفتنة، وقد جاء ذلك من باب المرونة والصفقة مع العدوّ المجحف، الأمر الذي فُسّر[٤] في ذلك الوقت من قبل كثير من المؤرّخين على أنّه «صلح» مع روسيا، وفي ما بعد جعل بعضٌ من المحقّقين

(١) عرض ميرزا محمد صادق وقائع نگار موارد مختلفة من تلك الخيانات ومن جملتها في احتلال تبريز من قبل الجيش الروسي في كتاب تاريخ جنگهاي ايران وروس: ص٢٦٩ وما قبلها.

(٢) كخيانة نظر علي خان وأخيه شيخعلي كنگرلو وكذلك احسان خان كنگرلو والتي انتهت باحتلال الروس لگنجه ونظاره وقلعة عباس آباد المحكمة والاستراتيجية. ينظر: تاريخ نو، جهانگير ميرزا، ص٧٢و٧٨-٧٩ و٨١ -٨٢، تاريخ جنگهاي ايران وروس، ياد داشتهاي ... وقايع نگار ... ص٢٥٦ - ٢٦٠.

(٣) ميرزا محمد صادق وقايع نگار سكرتير فتح علي شاه، وصديق عباس ميرزا ذكر موارد من إهمالات وتخبطات عباس ميرزا طيلة حروب إيران والروس في المرحلة الأولى والثانية. ينظر جنگهاي ايران وروس يادداشتهاي.. وقايع نگار... ص٩١ - ٩٤ و١٠٣ و٢٤٥ - ٢٥٠ وحول أسباب هزيمة روسيا لإيران في الفترة الثانية من الحرب يراجع المصدر نفسه: ص٣٠٠ - ٣٠٢.

(٤) ينظر: خلسه المشهور بـ خوابنامه، اعتماد السلطنة، ص٦٤ - ٦٧.

مفاد البند السابع من معاهدة (تركمانچاي) المبني على تعيين عباس ميرزا من قبل قيصر روسيا كخليفة لفتح علي شاه[1] شاهداً على هذا الأمر.

٣-٥: إزالة خطإٍ أو تزوير تاريخي حول السيّد المجاهد

عرض الإشاعة

أسلفنا أنّ بعض الأشخاص سجّل انهزام إيران الفادح وانفصال قفقاز على رجال الدين، أولئك الذين أصدروا حكم الجهاد ضدّ الجيش المعتدي، وشاركوا أيضاً بالحضور في الجبهة.

وحسب ادّعاء هؤلاء؛ فإنّ عباس ميرزا وقائم مقام اللذين كانت عهدة تلك الحرب عليهما لم يكونا موافقَين على تكرار الحرب مع روسيا، وإنّما خضعوا لضغط العلماء والعوامّ، وبناءً عليه فإنّ العلماء هم المسؤولون عن كلّ الأضرار والخسائر التي لحقت ببلادنا.

يقول خان ملك الساساني (نقلاً عن أمثال ميرزا يحيى دولت آبادي) كان يرى عباس ميرزا وقائم مقام معارَضين لعودة الحرب ضدّ الروس[2].

وكذلك ذكر محمود محمود[3]، ومهدي بامداد[4].

---

(١) لمراجعة البند السابع من المعاهدة المذكورة. ينظر تاريخ منتظم ناصري، محمد حسن خان صنيع الدولة، تصحيح محمد إسماعيل رضواني، ج٣، ص١٥٨٤.

(٢) سياستگران دوره قاجار، خان ملك ساساني، ج٢: ص١٨-١٩.

(٣) تاريخ روابط سياسي ايران وانگليس...، محمود محمود، ج١،ص٢٦٧ -٢٦٨.

(٤) شرح حال رجال ايران، در قرن ١٢و١٣و١٤، مهدي بامداد، ج٢، ص٣١٨-٣٢٠.

وبلغة مهينة جعلوا العلماء - وعلى رأسهم آية الله العظمى السيد الطباطبائي، المعروف بـ: «السيد المجاهد»- مسبّبي هذا البلاء، أي: شروع حروب إيران والروس مرّة أخرى، وأنّهم كانوا أداة بيد الإنجليز[١].

علماً أنّ سياسة الإنجليز في المرحلة الثانية من حروب إيران وروسيا كانت قائمة على معارضة تكرار الحرب، ومستر ويلاك مندوب بريطانيا في البلاط الإيراني كان بانتظام يشجع فتح علي شاه على الصلح مع روسيا[٢].

وزيادة على ذلك؛ فإنّ ميرزا أبو الحسن خان ايلچي - أيضاً - والذي كان على رأس معارضي هذه الحرب كان «يتقاضى رواتب من الإنجليز»[٣].

إنّ ادّعاء خان ملك معتمدٌ على تعليقات ميرزا يحيى دولت آبادي (في مؤتمر القاهرة سنة ١٣٥٠هـ- ق)، وليس خافياً على أهل النظر معارضة الأخير لأفكار الإسلام، وحقده على علماء الشيعة، من العلّامة المجلسي إلى النجفي الإصفهاني والشيخ فضل الله النوري، والشهيد المدرّس، ونقْل ونقْد آرائه الفكرية والتاريخية يستدعي فرصة أخرى.

وجهانگيز ميرزا (ابن عباس ميرزا) أيضاً مثل دولت آبادي وخان ملك الساساني في عدّه عباس ميرزا معارضاً لتكرار الحرب مع روسيا، وادّعى أنّه قام

---

(١) سياستگران دوره قاجار، خان ملك ساساني، ج٢، ص١٨-١٩.

(٢) تاريخ روابط بازرگاني وسياسي ايران وانگليز، ابو القاسم ظاهري، ج٢، ص٢٩، وأيضاً نقش روحانيت پيشرو...، حامد الگار، ترجمه ابو القاسم سري، ص١٢٣.

(٣) انفصال هرات، گوشه هاي از روابط خارجي ايران (١٢٠٠-١٢٨٠ هـ.ق)، منصوره اتحاديه (نظام مافي)، ص٥٦، وأيضاً ينظر: البحث المفصل لاسماعيل رائين في كتاب حقوق بگيران انگليس در ايران حول ابو الحسن ايلچي.

بخطوة الحرب مجدّداً ضدّ الجيش الروسي للاضطرار، وعلى أثر ضغط الشاه والعلماء[1].

ولكنّه بسبب حقده الغريب على شخص قائم مقام لم يقل شيئاً عن معارضته أو موافقته لتجديد الحرب مع الروس، بالمقابل فأبو القاسم لاچيني (حميد لاچين خان القائد الگرجي الكبير في عهد عباس ميرزا) اعتبر عباس ميرزا معارضاً للحرب مع روسيا[2].

ولأنّه يرى قائم مقام مخالفاً لجدّه الكبير لاچين خان، فقد عدّه موافقاً لتجديد الحرب مع الروس ومتعاوناً مع العلماء وجماعة من السياسيّين على إكراه عبّاس ميرزا على الحرب[3].

وفي المقابل فإنّ خان ملك ساساني المعنيّ بعباس ميرزا وقائم مقام ويرى أنّ كليهما كانا في صفّ واحد، فقد اعتبرهما معاً مخالفين لتجدّد الحرب، وعدّ العلماء - بلحن غير مؤدّب - سبب هذه النكبة التي هي استئناف الحرب مرّة ثانية، وأنّهم كانوا أداةً للانگليز!

والظاهر أنّ نسبة الموافقة على تجديد حرب إيران والروس إلى أشخاص معيّنين غير مبنيّ على نظريّة تاريخيّة موضوعيّة وثابتة علميّاً؛ إذ اعتمدت هذه

(١) ينظر: تاريخ نو جهانگيز ميرزا، بمساعي وجهود عباس اقبال ص٧-٨ و١٤-١٥. كذلك ظل السلطان ابن ناصر الدين شاه اعتبر عباس ميرزا غير معتقد بتجديد الحرب ضدّ روسيا.
ينظر: خاطرات ظلّ السلطان، ظل السلطان، ج١ (سرگذشت مسعودي) بجهود وتصحيح حسين خديوجم، ص٢٠.

(٢) احوالات و دستخط هاى عباس ميرزا نايب السلطنة، أبو القاسم لاچيني، ج٢، ص١٠-١٥.

(٣) المصدر نفسه: ص١٤.

النسبة على تصفية حسابات مع تلك الشخصيّات!، وبعبارة أوضح: فإنّ المؤرّخين برّؤوا كلّ من أحبّوه من عار إعداد الأرضيّة لتكرار الحرب مع روسيا الأمر الذي اشتمل على تلك النتائج المرّة لإيران، وألقوا هذا الذنب - في المقابل- على عاتق أولئك الذين كانوا معارضين لهم أو لا موقف لهم منهم .

إنّ نسبة معارضة الحرب إلى عباس ميرزا أو قائم مقام و(كسر الجرّة) على رأس علماء الدين المجاهدين له خلفيّة قديمة ومستديمة في تاريخ بلادنا، ولم تمت هذه النظرية بموت أمثال خان ملك ساساني ومعاصريه (محمود محمود، بامداد، و...) وبقيت مع مرور الوقت وتوسّعت وتكثّرت، (مثل المشهورات والشائعات التي لا أساس لها في تاريخ المشروطة).

وقد قلّد، وأعاد كلام خان ملك (مع ذكر المصدر أو بدونه) وحيد دستگردي في مقدّمته على ديوان شعر قائم مقام[١].

وباقر قائم مقامي في كتاب (قائم مقام در جهان أدب و سياست)[٢].

والدكتور سيد عبد المجيد قائم مقام فراهاني في «ياد داشت ها وخاطرات ميرزا بزرگ قائم مقام فراهاني ميرزا موسى (قائم مقام چهارم)[٣].

وإبراهيم فائقي في «آشنايي با قائم مقام فرهاني بزرگمرد تاريخ ايران»[٤].

---

(١) ديوان شعر قائم مقام، أبو القاسم بن عيسى قائم مقام، ص٣٧-٣٨.

(٢) قائم مقام در جهان أدب وسياست، باقر قائم مقامي، ص٢٢-٢٤.

(٣) ياد داشت ها وخاطرات ميرزا بزرگ قائم مقام فراهاني ميرزا موسى (قائم مقام چهارم)، سيد عبد المجيد قائم مقام فراهاني، ص٤٢-٤٣.

(٤) آشنايي با قائم مقام فراهاني بزرگمرد تاريخ ايران، ابراهيم فائقي، ص٤٤-٤٥.

وسيد بدر الدين يغمايى في مقدّمة على «ديوان اشعار ميرزا أبو القاسم قائم مقام فراهانى به انضمام مثنوى جلاير نامه»[١].

وپرويز افشاري في (صدر اعظم هاي سلسله قاجاريه)[٢].

وفي الموضوع نفسه فإنّ السيدة آمنه پاكروان التي اعتبرت عباس ميرزا (ابن ملك إصلاحي)- في كتاب حمل هذا العنوان - معارضاً للحرب[٣].

وناصر نجمي أيضاً في كتابه المؤيّد الذي كتبه عن عباس ميرزا جعل فتح علي شاه راغباً في تجديد الحرب مع روسيا، وعباس ميرزا معارضاً جداً لهذا الأمر.

وفي المقابل اعتبر علماء ومجتهدي العراق وإيران الذين أصدروا حكم الجهاد كانوا تحت تأثير جماعات غامضة كانت تتآمر في بلاط طهران ضد عباس ميرزا، وفي النهاية أجبروا عباس ميرزا -بسلاح التكفير- على حربٍ لم يكن راغباً في أن يبتدئها[٤].

وقد قوبل آية الله السيد محمد المجاهد - مرجع التقليد الكبير للشيعة في عهد فتح علي شاه، وحامل لواء الجهاد ضد القياصرة المعتدين، في المرحلة الثانية من حروب إيران والروس، مع غضّ النظر عن مواقف عباس ميرزا والآخرين بالنسبة إلى تجديد الحرب بين إيران وروسيا - بهجمات إعلاميّة شديدة من العلمانيين ومعارضي رجال الدين.

(١) ديوان اشعار ابو القاسم قائم مقام فراهانى به انضمام مثنوى جلاير نامه، با تصحيح بدر الدين يغمايى، ص شش -هفت.

(٢) صدر اعظم هاى سلسله قاجاريه پرويز افشار، ص٩٤-٩٦.

(٣) عباس ميرزا شاهزاده اصلاح طلب، امينه پاكروان، ص٢و٤.

(٤) ايران در ميان طوفان با شرح زندگاني عباس ميرزا نايب السلطنه وجنگ هاي ايران وروس، ناصر نجمي، ص٢٠٩-٢١٢.

فصحيفة «صور اسرافيل» التي كانت تعكس آراء ومواقف الجناح المتشدّد والعلماني في عصر المشروطة، في عددها الثاني وفي إشارة إلى آية الله السيد المجاهد، كتبت: (السيّد المجاهد قدّم آلافاً «من الأرواح» ونصف مملكة ؛ ضحيّة لتعصّبه وجهله)[١]!

وبدل أن يحقّق في مسائل - مثل إهمال حكومة القاجار في إرسال الجيوش والأسلحة إلى جبهات الحرب مع الروس في موعدها، وتنافس أبناء الملوك القاجار فيما بينهم، (والذي كان يظهر على نحو التخريب) في الجانب التنفيذي لعباس ميرزا، القائد العامّ للقوّات، وازدواجيّةٍ بعض من الأمراء والقادة الإيرانيّين مثل آصف الدولة- صهر الملك - أمام الجيش القيصري، وفراره الذليل من المعركة (المثبت في «منشآت قائم مقام») والمصالحة الخفيّة لجماعة أخرى من الأمراء والقادة مع العدوّ الغاشم (التي عبّدت طريق استيلاء الروس على مناطق استراتيجيّة كإيروان و...) ألقى ذنب كلّ الخونة والمتهاونين في تلك الحرب - برمّته - برقبة المرجع الشفيق والوطني الذي استسهل على نفسه مشقّة الرحلة إلى الجبهة من أجل حفظ حدود إيران الإسلامية، وفي الأخير مات حسرةً لما شاهد من تهاون ومصالحات ودسائس حمّلت ربقة الأمّة الإيرانية تلك الهزيمة الثقيلة[٢].

---

(١) روزنامه صور اسرافيل، ع٢، ص١.

(٢) السيد المجاهد بإضافة إلى ذلك هو الجد الأعلى للسيد محمد الطباطبائي (قائد المشروطة) وأحكام(صور اسرافيل) المهينة حول السيّد المجاهد -فضلاً عن إعلامها المضادّ لمرجعية الشيعة، لم تكن خالية عن التعريض بشخص الطباطبائي الذي لم يكن على وفاق مع راديكاليات وفوضويات الجناح المتشدّد والعلماني (في المشروطة) ومن ضمنهم (صور اسرافيل) ورفاقه.

ولكنّ الحقيقة شيء آخر!

فعلى رغم هذه الدعاوى والاتّهامات، فإنّ الوثائق والمستندات التاريخيّة المعتبرة، توضّح أمراً آخر وهو:

أوّلاً: أنّ حكومة القاجار هذه، وعلى رأسها فتح علي شاه شخصيّاً وعباس ميرزا في أثناء حروب إيران والروس الأولى هي التي مدّت يد الاستعانة إلى علماء إيران والعراق بعد اليأس من الدعم الحقيقيّ لإيران من قبل منافسي روسيا الأوربيين: فرنسا والانگليز، والنقص الشديد في القدرة على استمرار الدفاع أمام جيوش القيصر وبإرسال الرسائل وتقديم التقارير عن أنواع ظلم الروسيّين المأساويّة في مناطق المسلمين المحتلّة، وطمعهم في أنحاء إيران الإسلاميّة الأخرى، أصرّوا على العلماء أن يصدروا حكم الجهاد الذي تتوفّر به إمكانيّة النفير العام من أجل ملء سوح القتال.

وجمع ميرزا بزرگ فراهاني (قائم مقام ورئيس وزراء فتح علي شاه، ووزير عباس ميرزا) تلك (الفتاوى) سنة ١٢٢٣ هـ . ق مرفقة ببحث علميّ حول الجهاد في رسالتين كبيرة وصغيرة (الجهاديّة الكبيرة والصغيرة)،وكتب ابنه ميرزا أبو القاسم قائم مقام عليها مقدّمة محفزّة ومؤنّبة، وطبعها ميرزا عباس ونشرها في قرى وبلدات البلاد خاصّة منطقة آذربايجان[1].

(١) مآثر سلطانية، عبد الرزاق بيك دنبلي، ص١٤٥، منتظم ناصري، صنيع الدولة، ج٣، ١٤٩٣، تاريخ جنگهاي ايران وروس (ياد داشتهاى ميرزا محمد صادق وقايع نگار «هما» مروزى...)، تصحيح امير هوشنگ آذر، ص١٧٢-١٧٣، فارسنامه ناصري، حاج ميرزا حسن حسينى فسايى، ج١، ص٦٩٨-٦٩٩، ايران در ميان طوفان ناصر نجمى ص١٤٦-١٤٧.

وكذلك تكرّر إرسال الرسائل من قبل نظام عباس ميرزا - على أعتاب البدء بالمرحلة الثانية من حروب إيران والروس إلى محضر العلماء والسيّد المجاهد بغرض طلب المعونة منهم من أجل استئناف الحرب مع روسيا.

*** استعانة عباس ميرزا بالعلماء من أجل إعادة الحرب مع روسيا:**

١- صرّح لسان الملك سپهر- المؤرّخ الرسمي لبلاط محمد شاه وناصر الدين شاه قاجار - أن بعض أكَرَة[١] عباس ميرزا، - وقد كان قلقاً من المصالحة مع روسيا - حذّره من تقارير جرائم الروس في الأراضي المحتلّة وأنّ السيّد المجاهد تفحّص ودرس مع وزراء البلاط الشاهنشاهي أنّه قد ثبت الآن فرض الجهاد مع الروس، قال الملك: «نحن لم ننفك مسرورين بفكرة الجهاد».

وتبعاً لهذا الأمر جاء السيد إلى طهران واستقبله الشاه والحكومة، ثمّ إنّ الشاه انطلق إلى چمن سلطانية وعسكر فيها والتحق السيّد المجاهد وبقيّة المجتهدين الكبار من مناطق إيران المختلفة به، وأصدروا حكم الجهاد ضدّ الروس بالاجماع.

«واعتمد الشاه ووليّ عهد الدولة [عباس ميرزا] كلام [السيد]» إلّا أن اثنين من رجال الدولة لم يكونا موافقين على تكرار الحرب (معتمد الدولة نشاط وميرزا ابو الحسن خان ايلچي) ولكنّهما أذعنا أيضاً بسبب تهديد العلماء[٢].

(١) الاكارات هي الأراضي التي يدفعها أربابها إلى الأكرة فيزرعونها ويعمرونها.

(٢) ناسخ التواريخ قاجاريه، سپهر، بخش وقايع ١٢٤١ق، ج١، ص٣٦٥.

ولابدّ من إضافة اسم منوچهرخان گرجي (معتمد الدولة اللاحق) إلى قائمة معارضي الحرب[1].

٢- يذكر رضا قلي هدايت - المؤرّخ الرسمي الآخر لعصر القاجار، ومؤدّب ابن محمد شاه - أنّ أخبار جرائم الروس في القفقاز المحتلّة انتشرت في كافة أرجاء إيران واقتلعت «قواعد صبر وسكون» العلماء، و«بالفعل قوّى هذا أيضاً عمّال بلاط حضرة ولي العهد [المسعود] والذين لم يكونوا - بناءاً على بعض المصالح - راضين بالمصالحة».

ووافق الشاه على حكم الجهاد - نظراً لنفوذ العلماء بين الناس، وللخطر الناشيء من مضادّة فكرتهم (الخطر) الذي يتوجّه إلى عرشه وتاجه على رغم ميله القلبيّ إلى عدم تجديد الحرب مع روسيا، وأذعن له معتمد الدولة نشاط وأبو الحسن ايلچي أيضاً، وقد كانا رافضين لرأي العلماء - على أثر «بلاغات مهدّدة»[2].

---

(١) ورد في تقرير مك دونالد -سفير إنكلترا -المؤرخ في ٢٨ اكتوبر ١٨٢٦: أنّ الفريق المطالب بالمصالحة من بلاط إيران يتشكّل من: ميرزا عبد الوهاب معتمد الدولة وميرزا أبو الحسن خان ومنوچهر خان (گرجي) و سفير الانگليز، والفريق المائل إلى الحرب: الله يار خان آصف الدولة والعلماء والعسكر (انفصال هرات، منصوره اتحاديه، ص٦٠). كان منوچهرخان رئيس رجال بلاط فتح علي شاه، ومن بعد ذلك كان حاكم اصفهان في عهد محمد شاه قاجار، (وكان) له دور غامض -ذكر في التاريخ -في الدفاع عن ميرزا علي محمد باب (زعيم البابيين)، وقال عنه مك دونالد في ٢٨ اكتوبر ١٨٢٦: هذا الشخص (الگرجي) الذكي والمناسب والقريب إلى الشاه يستطيع أن يساعد على تقدّم هدفنا (المصدر نفسه: ص٥٤).

(٢) ينظر: تاريخ روضة الصفاى ناصرى، رضا قلى خان هدايت، بخش وقايع سال ١٢٤١، ج٩، ص٦٤٥ -٦٤٧.

مركز الشيخ الطوسي للدراسات والتحقيق

٣- وميرزا محمد صادق وقايع نگار مروزي، سكرتير قصر فتح علي شاه. وكان من أصدقاء ومساعدي عباس ميرزا والذي كان الشاه وولي عهده يوكلون إليه المهامّ السياسية الأهمّ، ويمكن الإشارة من ضمنها إلى مهمّة بغداد (في المدّة ما بين حروب إيران مع الروس الأولى والثانية) من أجل المحادثة وعقد الاتفاقيّة مع الوالي العثماني هناك، وكذلك مهمّة الذهاب إلى القفقاز - على أبواب تجدّد الحروب الإيرانية الروسيّة الثانية - من قبل عباس ميرزا لتشخيص وترسيم الحدود الإيرانيّة الروسيّة وإنهاء النزاع الجاري حينها حولها[١].

ولقد اعتبروا «وقايع نگار» واحداً من المعاونين المخلصين لقائم مقام ومقرّباً منه[٢].

وكان يعَدّ من أصحاب سرّ عباس ميرزا وقائم مقام[٣].

فقد كان العين في بلاط فتح علي شاه على مؤامرات معارضيهما وكان المدافع عن مصالحهما، وكان - في ضمن إرسال تقارير الأحداث إليهما - ينصحهما ويرشدهما، وكانا هما أيضاً - يرون لوجهات نظره وتدابيره اعتباراً، وقد كتب

(١) ينظر: تاريخ جنگهاي ايران و روس (آهنگ سروش)، ياد داشتهاي ميرزا محمد صادق وقايع نگار... نفسه، ص٩٠، ١٨٤-١٨٥، ٢٢٩.

(٢) نفس المصدر: ص٣٧.

(٣) كتب إليه قائم مقام: جناب السيد الشفيق (عليّ) يا من أنت في كل عمل عضدي وسندي (ترجمة بيت شعر بالفارسية: حضرت مخدوم مهرپرور بنده، اي تو به هر كار يار وياور بنده) (منشآت قائم مقام، ص٩٣). وأيضاً: «يا سيدي يا من أنت لي في كل العوالم لا نظير لك صديقاً وفيّاً. [بالفارسية]: مخدوم من، اي آن كه مرا در همه عالم مانند تو يك يار وفادار نباشد. (نفس المصدر، ص٩٩).

ورسالة القائم مقام السريّة إليه، ينظر: نفس المصدر، ص٨٥.

قائم مقام – في رسالة إليه –: منّة الله الوافرة أنّ كلّ مهامّ هذه المملكة على وفق مرامكم، وأنّ نصائحكم الصادقة قرط أذننا وروحنا[1].

وكذلك أثنى على درايته وتدبيره المرضيّ في فتح الأبواب المسدودة و«إصلاح» المعاهدات المنتقضة بين إيران والدولة المجاورة[2].

وكتب: «مرقوماتكم كلّها – مفرحة الروح وبشارة الفتوح، ولا شكّ أنّه لو عُمل في هذه المملكة على وفق علمكم، فإنّ الأمور ستكون على ما يرام»[3].

وذكر في «منشآته»، وقايع نگار مراراً[4].

ومدح فضله المليّ، ونثره البليغ، وفكره البديع، وتدبيره الماهر، وثباته في الصداقة، وشجاعته وصراحته في بيان الحقائق[5].

وقايع نگار مؤرخ صريح وقائل بالحقّ، وفضلاً على التقارير والمكاتبات الرسميّة، فقد كتب أيضاً مؤرّخاً [لنفسه] وذكرى للأجيال [القادمة] في شرح حوادث حروب إيران والروس، القيمة المهمّة لهذه المذكّرات،فضلاً عن «أمانة وصدق» وقايع نگار، هي حضوره في صلب الحوادث مثل اجتماع السلطانية، وتقريره أقدم تقرير وصل إلينا وأكثره اعتباراً عن حروب إيران والروس،

(١) منشآت، قائم مقام، نفسه، ص٩٨.

(٢) نفس المصدر: ص ١-٢.

(٣) نفس المصدر، ص٨٤.

(٤) (منشآت قائم مقام جمعها فرهاد ميرزا) تبدأ في الأساس برسالة إلى ميرزا صادق وقايع نگار، لرسائل قائم مقام إليه، ينظر: منشآت قائم مقام، نفسه، ص١-٤، ١٠-١٥، ٨٢-٨٦، ٩٣-١٠٥، ٢٠٧-٢١٢.

(٥) ينظر: نفس المصدر، ص٢١٠، ٢٠٧، ٨٥، ١٣، ١-٣.

وهي – إضافة إلى شرح جزئيّات الحوادث «والتي لا يوجد لبعضها أثر في مكان آخر» – تشتمل على تقييم وتحليل لها أيضاً.

وقد جاء في هذه المذكّرات؛ والتي صدرت مؤخراً بجهود المحترم امير هوشنگ آذر: «عند اجتماع الشاه وعباس ميرزا والوزراء والقادة العسكريّن والمجتهدين الكبار (السيد المجاهد و...) في چمن سلطانيه، وصل – فجأة – خبرٌ مفاده أنّ الروس هجموا ليلاً على إيران، وقتلوا في إحدى قرى أطرافها – كلّ من فيها (من امرأة ورجل وطفل) في حين كان سفير روسيا حاضراً في ذلك الاجتماع، ويدير المباحثات المتسلسلة للسلام والمصالحة، وبعد نشر هذا الخبر في المعسكر، رأى المجتهدون أنّ الجهاد «أصبح » واجباً ضدّ روسيا، وكان نائب السلطنة موافقاً لرأيهم، ولكنّ معتمد الدولة (نشاط) وحاجي ميرزا ابو الحسن خان وزير الخارجية كانا ضدّ الحرب، ولم يسمع سفير روسيا من عباس ميرزا ومن العلماء – على رغم كلّ ما بذل من جهد لكي لا يحدث الجدال بين الدولتين – سوى الإنكار والإصرار على الحرب.

ثمّ إنّ ميرزا أبو الحسن خان ومعتمد الدولة طرحا الحديث عن ما يجب فعله مقابل إصرار عباس ميرزا، وقالا: الأفضل في هذه الأيّام التي تولت السلطة [فيها] حكومة جديدة في روسيا أن يتمّ التذكير بتصرّفات الحكومة السابقة، بعد الالتزامات الواردة في معاهدة [گلستان]، والإبلاغ عن أنّ التزاماً قد أمضي بين الحكومتين ولم يراعه قادة روسيا، وأغاروا على عدة ولايات (مدن)، واستولوا عليها بلا أيّ حقّ، وفي الضمن لا بدّ من التفاوض مع الحكومة الجديدة حول الانسحاب فإن لم توافق فلتقم الحرب.

وارتضى بعض الأمناء منهج وطريقة معتمد الدولة هذه، لكن نائب السلطنة [عباس ميرزا] لم يكن موافقاً على هذا الرأي، وقال: حكومة روسيا حتى الآن لم تفِ بأيٍّ من التزاماتها، كما نشاهده الآن، فمن جهةٍ يرسلون سفيراً إلى بلاط إيران من أجل تعزيز الصداقة، ومن جهةٍ أخرى يجبرون جنودهم على الاعتداء. وهذه الصداقة التي اتخذتها حكومة روسيا مع جيرانها تنمّ عن أنّ هذه الحكومة قد جعلت هذه الطريقة شعاراً لسياستها، والأدلّة على نقضهم لعهدهم لا تحصى؛ وقد شوهدت نظائره مراراً، هذه الدولة في الظاهر تجعل نفسها حامية الخروف، ولكنّها في الخفاء محرّضة الذئب، وعلى هذا الأساس فالحرب أولى من العار، والموت أريح من اللجام.

وبعد ما أفصح به وليّ العهد عباس ميرزا من معتقداته المحكمة أيّده العلماء، وأعلنوا الحرب بعد المصالحة.

حاول سفير روسيا بعد عدّة اجتماعات مع المجتهدين تغيير رأيهم في شنّ الحرب بتعهّده بتسليم الولايات المحتلّة، وخروج روسيا من الحدود، ولم يفلح.

ورجحت الحرب على الصلح وبعد مغادرة مبعوث الروس، وبأمر نائب السلطنة إسماعيل ميرزا تحرّكوا باثنين وعشرين ألف مقاتل راكباً وراجلاً من الأفواج الاسترابادية والفندرسكيّة بالتجهيزات العسكريّة وبعدّة أفواج منظّمة من چمن سلطانية إلى جهة آذربايجان[1].

(١) تاريخ جنگهاي ايران و روس (آهنگ سروش) ياد داشتهاي ميرزا محمد صادق وقايع نگار...، نفسه، ص٢٣٥ -٢٣٧، ويمكن أن يقال: لم يقبل عباس ميرزا ومن على تفكيره هذا الأمر، مع إصرار سفير روسيا على الصلح مع إيران وأقحموا البلاد في [تلك] الحرب المدمرة، ولابد من الالتفات إلى أنّ ←

٤- يمكن الاستناد إلى كلام گرنت واتسون (العضو المهمّ في سفارة الانگليز في زمان ناصر الدين شاه) لتصديق تصريحات هؤلاء الأشخاص

→

سفير إنكلترا (سرگور اوزلي) -عند تشجيع حكومة إيران على عقد معاهدة گلستان في روسيا، وعد بأنّه وزملاءه في حكومة بريطانيا سيقنعون مسؤولي حكومة روسيا بردّ الأراضي المحتلّة، وقد اتّضح في ما بعد أنّه كان يهدف -بإنهاء الحرب وعداوة إيران وروسيا -إلى أمرين:

١-كانت لندن في ذلك الوقت تعتبر حليفة للروس أمام نابليون، ولم يكن في مقدورها التعاون مع عدوّ الروس (أي إيران) فكانت -بإحلال الصلح بين إيران والروس -تتخلّص من محظور التعاون مع عدوّ القيصر، ويمضي أمر الاطاحة بنابليون قُدُماً بتفرّغ وقوة أكثر.

٢- التزمت إنگلترا - وفقاً لمعاهدة ١٨١٤- بأن تدفع لإيران مبلغ مئتي ألف تومان في حالة حدوث حرب بين إيران ودولة ثالثة،وإنهاء الحرب بين إيران والروس كان سيخلي كاهل لندن عن ثقل هذا الإلتزام.

خضعت حكومة إيران لمعاهده گلستان على أساس الوعود الخادعة والفارغة لسفير إنكلترا، وخلال أربع عشرة سنة -وهي الفترة بين حروب إيران والروس الأولى والثانية -سعت بأشكال مختلفة (ومنها، ابتعاث سفير إلى بلاط القيصر، والرسائل المتكرّرة إلى مسؤولي لندن) لتهيئة أرضيّة استرجاع القفقاز المحتلّ إلى الوطن الإسلامي؛ ولكنّها كانت تواجه -في هذا السبيل -بازدراء واضح [من] الروس بسفير إيران (رفض القيصر الاجتماع بسفير إيران في بطرسبورغ لمدّة سنتين، ومن بعد ذلك -أيضاً - إعادته إلى إيران صفر اليدين، [واستفادة الانگليز من عامل الوقت] وفي النهاية صار واضحاً أن وعد إنكلترا، وإشارة الروس الخضراء، كانت خداعاً واحتيالاً، ولم يكن له معنى سوى استغفال الإيرانيين وإبرام الصلح بين إيران والروس من أجل حلّ مشكلة نابليون. (ينظر تاريخ روابط بازرگاني و سياسي ايران وانگليس، طاهرى، ج٢، فصل أول: درخت تلخ سرشت).

جهد عباس ميرزا شخصيّاً، حتى بعد معاهدة تركمانچاي، أن يذهب إلى روسيا ويحلّ الإشكاليات - عند مقابلة القيصر - ولكنّ قائد الجيش الروسي في القفقاز الجنرال پاسكيوسچ - وبعذر أنّ القيصر في سفر - حال دون ذلك، وخطاب عباس ميرزا في چمن سلطانيه حول تزييف الروس ونقضهم العهد كان ناظراً إلى هذه التجارب السياسيّة المرّة.

الثلاثة، المبنيّة على موافقة عباس ميرزا على إعادة الحرب ومعارضة نشاط وايلچي له.

فقد كتب- في ضمن الإشارة إلى فتاوى العلماء بالجهاد ضد روسيا: «ولي العهد - والذي لم يستفد درساً من التجارب السابقة جاء مرّة أخرى ليختبر قوّته مع القادة الروس في ميدان الحرب، والذي يبدو أنه ليس في جميع أرجاء مملكة جلالة الملك سوى اثنين موافقين له في تجنّب الحرب»[1] نشاط وايلچي.

٥- حامد الگار أيضاً (استناداً إلى تصريحات أشخاص مثل دروويل، الضابط الفرنسي في الجيش الإيراني في زمن حرب إيران والروس) كان على اعتقاد بأنّ عباس ميرزا كان موافقاً على عودة حرب إيران وروسيا، وأنّه كان - من قبل - يمهّد الأرضيّة لذلك[2].

الگار اعتبر عباس ميرزا المحرّض الرئيس في عودة الحرب مع روسيا وكتب في ذلك: «سعيُ أولئك الذين كتبوا سيرة عباس ميرزا الذاتيّة - إلى تبرئته عن كلّ المسؤوليّات التي كانت عليه في بداية الحرب - [أمر] مفهوم، ولكنّه غير موفق»[3].

وعلى رغم أنّ فتح علي شاه قطعاً كان يؤمّل أن يستطيع بالنهاية بطُرُقٍ مّا أن يستعيد الأراضي التي اُحتُلّت في أوّل حرب مع روسيا، إلّا أنّه فيما يبدو كان دائماً متردّداً في استئناف العمليّات العسكريّة، ولقد قرّرعباس ميرزا شخصياً الذهاب

(١) تاريخ ايران دوره قاجاريه، ترجمه. وحيد مازندرانى، ص١٩٩-٢٠٠.

(٢) نقش روحانيت پيشرو ص ١٢٠.

(٣) نفس المصدر: ١٢٣.

إلى الحرب ولم يستفد إلّا من سلاح ضغط العلماء ليُجْبَر فتح علي شاه على الموافقة.

وقد رأينا من قبل أن المبرّر الكافي للجهاد كان موجوداً، ولعلّ أهالي الولايات المحتلّة أنفسهم كان لديهم مراسلات مع العلماء في العراق[1].

وإنّ من المحتمل على ما يبدو أنّ عبّاس ميرزا على الأقلّ كان ينفخ في الثورة الدينيّة، وكان يريد أن يستخدمها ضدّ ممانعة فتح علي شاه ومماطلته[2].

ثمّ إنّ موافقة عباس ميرزا على استئناف حرب إيران والروس تؤكّده مستندات ومصادر تاريخيّة أخرى.

٦- الجنرال پرنس استشر باتوف، الباحث الروسي، وبالاستناد إلى وثائق ومستندات وزارة الخارجية الروسيّة القيصريّة في الفترة ما بين حروب الجولة الأولى والثانية بين إيران والروس يشير إلى أن «عباس ميرزا وبدعم القدرة والنفوذ الذي كان له على والده - وكان في الواقع روح ومحور سلطة الحكومة، وبحُكمه المطلق على آذربايجان أغنى ولايات إيران الواقعة على حدود روسيا - كان في الأخير يعدّ جهده وسعيه ونشاطه من أجل حرب حاسمة»[3].

إدّعاء استشر باتوف مستند إلى تقارير الجنرال يرملوف (قائد الجيش الروسي في القفقاز المحتلّة) والذي جاء - بعد مدّة من معاهدة گلستان إلى إيران - سفيراً من قبل القيصر وهو في هذه التقارير التي أرسلها في ١٨١٧م. الكنت دونسلرود

(١) المقصود مع العلماء والمراجع في العراق. (المترجم)

(٢) نفس المصدر: ص١٢٥-١٢٦.

(٣) بررسی های تاریخی، سال٩، ش٢ (خرداد -تیر ١٣٥٣) ص٥٥.

(وزير خارجيّة القيصر) يعتبر عبّاس ميرزا معارضاً بشدّة لسقوط القفقاز بيد الروس، وحذّر الحكومة القيصريّة من أنّ عباس ميرزا مشغول بكلّ قواه بتنظيم القوّات العكسريّة (إنشاء جيش نظامي) والانتاج الضخم للأسلحة العسكرية، وإصلاح وترميم القلاع وتثبيت المدفعيّات وتمركز القوات العسكرية في الحدود الإيرانيّة الروسيّة، وفي الوقت نفسه جعل كلّ تنقّل عسكريّ للروس تحت المراقبة من خلال إرسال عملاء استخبارات إلى القفقاز[1].

٧- في الوقت الذي كان فيه جيس بيلى فريزر، المسؤول الماهر الانگليزي، في اغسطس ١٨٢٢م/ ذي القعدة ١٢٣٧. ق في تبريز وصل إلى محضر عباس ميرزا، «لا يزال ابن الملك ذلك الشجاع الذي وقف كل قواه الذهنية والجسمية على الجيش وحروب إيران والروس»[2].

٨- الذي يظهر من رسالة عباس ميرزا إلى آصف الدولة في شهر رمضان ١٢٤١ هـ - أي على أعتاب عودة الحرب مع روسيا - أنّ رأي فتح علي شاه في هذا الوقت كان الموافقة على الإقدام على الحرب، وأنّ عباس ميرزا كان دائماً يذكر هذا[3].

وفي تلك السنة ذكر قائم مقام في رسالة لأخيه (ميرزا موسى خان) أنّ «كلام

(١) المصدرنفسه: ص٦٤-٦٥ و٦٧، وحول اجراءات عباس ميرزا المدنيّة العسكريّة في آذربايجان كذلك ينظر: تاريخ جهانگير ميرزا، ص٩-١٠ و١٨٧-١٩١، سفر در ايران گاسپار درووِيل، ترجمه منوچهر اعتماد مقدم، ص٣٣-٣٤ و٢٤٩-٢٥١ و٢٦٨.

(٢) ينظر: تاريخ بازرگاني وسياسي ايران و انگليس... أبو القاسم طاهرى، ج٢، ٧٥.

(٣) نامه هاى پراكنده قائم مقام، بخش يكم، ص٤٨.

تبريز وشعرها حروف المدفعيّة والجنديّ، وآيتها وحديثها الجهاد وغزو القزاق والجنود[1] [راكبين وراجلين] ».

٩- حاجي ملا رضا الهمداني (الملقب في شعره بكوثر) من الفقهاء العارفين في عصر فتحعلي شاه والذي كان - على أعتاب شروع الجولة الثانية من حروب إيران والروس - مقيماً في تبريز (كميرزا مهدي قاضي وعبد الرزاق دنبلي) وكان مقرّباً جداً عند عباس ميرزا وقائم مقام[2].

وفي ذي الحجة ١٢٣٨ هـ كتب رسالة في وجوب الجهاد ضد الجيش القيصري وفيها: ترغيب وتشجيع المسلمين على استعادة الأراضي المحتلّة من «كفرة روسيا» وتجنّب التعلّل والكسل في هذا السبيل وشرح الواجبات الدينية على القادة والفئات الوطنيّة والعسكرية المختلفة في شؤون البلاد والحدود، ونظراً إلى العلاقات القويّة للهمداني مع عباس ميرزا وقائم مقام، ويظهر أنه لم يكتب هذه الرسالة بدون طلب من وليّ العهد وجهازه.

١٠- كتب عباس ميرزا في عام ١٢٤٢هـ . ق، أي في أوائل حروب الجولة

(١) سياستگران دوره قاجار، خان ملك ساساني ج٢،٩.

(٢) كتب عباس ميرزا في رسالة (بقلم قائم مقام) لميرزا بزرگ: «إن كنت طالباً لصحبة أرباب الكمال مثل جناب حاجي [ملا رضا همداني] وحاجي عبد الرزاق بيك (دنبلي) الأديب الكامل في مدينة أثينا...» (منشآت قائم مقام چاپ محمد عباس، ص١٣٦). همداني، كذلك له رسالة موسومة بـ«مفتاح النبوّة» في الرد على كتاب هنري مارتين (الأسقف المنصّب للتشكيك في عقائد المسلمين من طرف شركة الهند الشرقية البريطانية) وكتب لها ميرزا أبو القاسم قائم مقام ديباجةً وفيها مدح حاجي ملا رضا همداني بألقاب مثل «حكيم العهد ووحيد العصر وعالم الدنيا و...» وذكر عناية وليّ العهد الخاصّة به. المصدر نفسه، ص٢٨١-٢٩٠.

الثانية بين إيران والروس في رسالة إلى غالب پاشا (والي أرض روم): «في هذا الوقت الذي بنت فيه روسيا - من جهة ايروان وقراداغ وطالش - على الاعتداء. وفي خلال أربع عشرة سنة من أيّام المصالحة - على رغم مداراتنا ومماشاتنا - كانت اعتداءاتهم تزيد يوماً بعد يوم. وزادوا في نقض العهد، وتجاوزوا الحدود التي كانت في المعاهدة، حتى وصل الأمر إلى أن عزة الإسلام لم تعد تتحمّل، وإلى أن أقدمنا على الردّ بالمثل، فوقعت الحرب[1].

*** دخول عباس ميرزا إلى الحرب كان عن وعيٍ تامّ!**

دخول عباس ميرزا في الجولة الثانية من الحرب مع روسيا (على حد قوله) كانت حركة عن وعي تامّ جدّاً، ومبنية على حساب قدرة العدوّ العظيمة.

وقد كتب في رسالة إلى ولده محمد ميرزا مؤرخة في محرّم أو صفر ١٢٤٢هـ (وهي بقلم قائم مقام، وفي خضمّ الحرب الثانية): «نحن باشرنا بهذه الحرب، ولم نقل أنّ جيش روسيا خمسة آلاف وعشرة آلاف، وقد علمنا [أنّهم] خمسين ألفاً ومئة ألف، لا نرى أنّ العدوّ هو يرملوف [القائد العامّ لجيش روسيا في القفقاز] بل عدوّنا هو الامبراطورنفسه، وقد اتّكلنا على الله ونسأله الفتح والظفر، وفي هذه السنة، نطهّر مُلك الإسلام بحول الله وقوّته من وجودهم القذر»[2].

أيضاً في ربيع الآخر أو رمضان من السنة نفسها يشير في رسالة إلى معتمد الدولة نشاط (وزير خارجيّة فتح علي شاه) إلى: «والله! بالله! إنّ الروس ليسوا

(١) اسناد ومكاتبات تاريخي ايران قاجاريه، ج٢، من ١٢٣٩ إلى ١٢٦٣. هـ. ق. بمساعي: محمّد رضا نصيري، ص٧٩.

(٢) نامه هاى پراكنده قائم مقام، بسعي جهانگير قائم مقامي، بخش يكم، ص٦٥.

بتلك القوّة التي يشيعها الناس، وبالله؛ لو تمّ العمل وفق القواعد والإجراءات، ووصلت الآلات في وقتها المحدّد، فإن أمرهم لا صعوبة فيه، ولم يبق في العام الماضي إلا قليل ويُخلوا تفليس ويفرّوا من باكو وقبه، وقد كان قضاءً إلهيّاً أن يستشهد قائد الجيش قبل الحرب فأمير خان كان القائد، فرجع الجيش، فتغلّب أولئك، ولا أرى لائقاً أن أقول ما جرى من بعد حتى آل الأمر إلى ما آل إليه ...؟!»[1].

لم يكن عباس ميرزا راضياً باتّفاقيّة سلام گلستان المفروضة وما خضع لمماشاتها إلّا بضغط الشاه ورئيس وزرائه[2] ولذلك فقد كان يجهد ليمنع

أوّلاً: من إقرار السلام الدائم بين البلدين.

(١) المصدر نفسه: ص٨٠، تصريحات گاسپار درووِيل ولاچين خان - قائدا جيش عباس ميرزا - حاكية أيضاً عن الاستعداد العالي لإيران في الحرب المصيرية مع روسيا. ينظر: سفر در ايران، درووِيل، ترجمه منوچهر اعتماد مقدم ص٢٥٦-٢٥٧، وعباس ميرزا نايب السلطنة، أبو القاسم لاچيني، ص٦٦. وكان الخبراء الإنكليز مثل السير جان ملك نيل والسير هنري والينسون يقولون أنّ الروس لم تكن هزيمتهم ممكنة. ينظر: تاريخ بازرگاني و سياسي ايران وانگليس، أبو القاسم طاهري، ٣٨/٢. كذلك يصرّح گرنت واتسون العضو المهم في سفارة الانگليز أوائل سلطنة ناصر الدين شاه: «فتوحات القادة الروس كانت في الأغلب بسبب ضعف الشاه وعدم رضا أتباعه لا بفضل فنون الحرب أو العروض أو الممارسات الاستثنائية للروس» (تاريخ ايران دوره قاجاريه، ترجمة ٤ وحيد مازندراني، ص٢٢١).

(٢) صدر التواريخ، اعتماد السلطنة، محمد مشيري ص٦٢-٦٣، درووِيل الضابط الفرنسي الذي كان تحت أوامر عباس ميرزا -أيضاً -اعتبر قول فتح علي شاه لاتفاقية گلستان للسلام على عكس رغبة ولي العهد وقراره الواضح، (سفر در ايران، ترجمه منوچهر اعتماد مقدم، ص٣١، وكذلك: ينظر ص١٦٦) ويكتب: عباس ميرزا وبكلّ ما أوتي من قوّة كان معترضاً على عقد اتفاقية الصلح الأخيرة مع روسيا (معاهدة گلستان) نفس المصدر: ص١٧٩.

وثانياً: أن يسترجع - بحرب أخرى - الأراضي المحتلة من الروس[1] خاصة - وذلك برفع القدرة العسكرية لإيران- وأنّ اعتداء الروس على التراب الإيراني كان في مناطق حكومته، وقد كان خجلاً من أبيه وإخوانه - الذين كان بعضهم منافساً قوياً له على خلافة والده - وبالتالي - وحسب ما يقوله الباحث الروسي استشر باتوف - فإنّ الموضوع كان بالنسبة إليه قد أصبح يمس كرامته شخصيّاً. وكان لابدّ - من أجل استعادة شرفه القومي والسياسي في مقابل المنافسين والحاسدين - أن يستردّ المناطق المحتلّة بأيّ شكل كان .

وقد عبّر عباس ميرزا نفسه لجوبر مبعوث نابليون الخاصّ عن أسفه الشديد من هيمنة الأجانب على المناطق الشمالية لنهر آراس[2].

إنّ نزاع عباس ميرزا (ووزيره: ميرزا بزرگ فراهاني) مع مبعوثي روسيا - في المدة الفاصلة بين حروب إيران والروس الأولى والثانية- مثل الجنرال پيرملوف و گريبايدوف) سكرتير السفارة الروسية آنذاك[3] كان واضحاً، وكان الروس - إضافة إلى تكبّرهم وتبخترهم المعتاد، خاصّة في تلك الأحقاب - مطلعين على عدم رضا عباس ميرزا، ومساعيه السياسية والعسكرية من أجل استرداد القفقاز المحتلة، وكان هذا الأمر يزيد في غضبهم وتسلّطهم.

(١) يصف درورويل: «خطة ولي العهد للمعركة من أجل استرجاع القفقاز بالعاقلة جداً» ينظر: سفر در ايران، ص١٧٩.

(٢) حماسه كوير، محمد ابراهيم باستاني پاريزي، ص٦٦٩.

(٣) ينظر: منشآت قائم مقام ص٥، نامه هاى الكساندر گريبا يدوف، درباره ايران... ترجمه رضا فرزانه، ص٣٥-٤٢.

* أسرة قائم مقام الروّاد في أمر الجهاد ضدّ الروس القياصرة

آل قائم مقام (ميرزا بزرگ وميرزا أبو القاسم) - وعلى عكس ما قاله دولت آبادي وخان ملك وأضرابهما- كان لهم المجهود الأكبر في صدّ العدوان الروسي وتحرير المناطق المحتلّة، ومبادرة ميرزا بزرگ - لأخذ فتوى الجهاد من علماء العراق الكبار (كاشف الغطاء وصاحب الرياض) وإيران في سنة ١٢٢٤هـ وطبعها ونشرها في البلاد - مسجّلة في التاريخ[١].

ووفقاً لقائم مقام: فإنّ ميرزا بزرگ، كان يرى مصلحة إيران في «المعاملة بالمثل» مع الروس[٢]، حتى أنّه (بسبب جدّيّته الشديدة بحرب مشرّفة مع الروس المعتدين وصراعه مع يرملوف سفير روسيا المتكبّر والمؤجّج) أُتُّهم - في فترةٍ ما - عند فتح علي شاه بـ«إسعار الحرب» ونُحّي مدّة من الزمن عن منصبه[٣].

بل إنّه كان يفكر في إنزال أساطيل حربيّة في بحر الخزر، وأجرى محادثات حول هذا مع السيرگوراوزلي (سفير إنكلترا في ايران) وقد ألغى فرض معاهدة گلستان على إيران - التي أقرّت سيطرة روسيا على ذلك البحر - إمكانيّةَ متابعة هذه الخطّة[٤].

وقد كتب گريبايدوف سفير روسيا المعروف الذي قتل في طهران بعد معاهدة تركمانچاي - في الوقت الذي جاء فيه لأوّل مرة إلى إيران بعنوان

(١) ينظر: تاريخ جنگهاي ايران وروس، ياد داشتهاي... وقايع نگار... ص١٧٢-١٧٣.

(٢) منشآت قائم مقام، ص٨٣، أيضاً ينظر: نفس المصدر: ص٣٥٩-٣٦٠.

(٣) منشآت قائم مقام، ص٥، أيضاً ينظر: مآثر سلطانية، عبد الرزاق بيك دنبلي، ص٣٢٤-٣٢٥، تاريخ سياسي واجتماعي ايران در دوره معاصر، سعيد نفيسي، ٨٤/٢-٨٥ و٩٢-٩٣.

(٤) امير كبير وايران، فريدون آدميت، ص٣٠٢.

سكرتير الممثّليّة الروسية في إيران (١٨١٨-١٨١٩م) - في رسالة [في] فبراير ١٨٢٠ إلى أحد أصدقائه قائلاً: عباس ميرزا «الذي نحن فخورون بحضوره الآن - وبين قوسين - لابدّ أن أقول أنّه عدوّي، يستأجر في لندن مكاناً لتصنيع الأسلحة والجلود وأعمال أخرى، ويريد أن يؤسّس جامعةً، ولديه وزيره: ميرزا بزرگ قائم مقام وهو عدوٌّ لروسيا، وليس حاضراً - على أيّ حال - للموافقة على التقارب بين إيران وروسيا[١].

وقد عدّ السيد گوراوزلي سفير إنكلترا في إيران ووسيط السلام - حين توقيع معاهدة گلستان، في تقرير سرّي إلى وزير خارجية لندن - ميرزا بزرگ «سدّاً في طريق تحقّق السلام بين روسيا وإيران، وكان أيضاً بلا اعتدال مع الانكليز[٢].

فلا غرو أن كتب على ضريحه: «بذل جهوداً في أمر جهاد المشركين وحفظ ثغور المسلمين ومن قبل ذلك هوالذي أصبح مؤسس النظام الجديد في مملكة الإسلام، وقد كتب في مسألة الجهاد عن علم وإخلاص رسالات واضحة الدلالات»[٣].

وميرزا أبو القاسم خان قائم مقام، ابن هكذا شخصيّة وتربية يديه شخصيّاً ولديه لكلتا رسالَتي والده الجهاديتين (الجهادية الكبرى والجهادية الصغرى)

(١) نامه هاى الكساندر گريبايدوف درباره ايران...، ترجمة رضا فرزانه، ص٤٩-٥٠.

(٢) تاريخ روابط بازرگاني و سياسي ايران وانگليس، ٤٧٠/١، نقلاً عن: اسناد محرمانه وزارت خارجه انگليس، بايگاني اسناد ملي انگليس برقم ١٨١٢-٦٠/٧. F.O. ملف ٧، رسالة أوزلي إلى كاسل رى ٣٠ ديسمبر ١٨١٢.

(٣) مواد التواريخ، حسين نخجوانى، ص٣١٣.

مقدمة مفصلة وردت في منشآته، وحماسه القومي وغيرته الإسلامية في صدّ عدوان الروس واضحان من خلالها.

وكذلك فإنّ قائم مقام - في أشعاره - في قصائد متعدّدة - يمدح جهود (سيّده) عباس ميرزا الدؤوبة (في الفترة ما بين الجولة الأولى والثانية من حروب إيران والروس) القائمة على دعم البنية العسكريّة الإيرانيّة من أجل الحرب مع الروس المنحوس[١].

وله لكسر صولة الروس[٢] دعاء في حقّ وليّ العهد، يدعو له بالقدرة، وفي إشارة إلى رؤيّة عبّاس ميرزا الذي جعل كل ما ملك «لمحض مناهضة الروس، والمحافظة على الملك المحروس» وقدّم الأمصار والقلاع على جمع المتاع ولم يساو بين أيّ كنز ذهب ودُرج جوهر وبين جعبة آلات حرب وكيس بارود ورصاص.

و«أرضٌ - مثل أذربيجان - صارت مطمعاً من ثلاث جهات، وهي المجاورة للعثمانيين والروس لابد لها من مالك ملك مقاتل لا مهازل، ومناضل لا متخاذل»[٣] وكذلك يصرّ على «مع احتلال جزء من بلادنا بيد الروس، فلا عيد لنا، ولابد من القيام بوجههم والجهاد، ولا دين لمن بالصلاة تشاغل وعن الجهاد تغافل"[٤].

وفي الوقت الذي مات فيه الكساندر پاوليتش (قيصر الروس) - في ربيع

(١) ينظر: منشآت قائم مقام، قسم الأشعار، ص٤٦-٤٩.

(٢) منشآت قائم مقام، ٢٩٢: قدر الله نقض الروس بنفذ سهامه... .

(٣) منشآت: ص٧٥-٧٦.

(٤) منشآت: ص٢١.

الأول ١٢٤١ هـ . ق وشبّ نزاع بين أقربائه على خلافته جرّ روسيا إلى الاضطراب والفوضى - حذّر قائم مقام - في شعر أنشده في تلك الأيام الحسّاسة - مع الإشارة إلى هذه الأحداث - أن لا يُظَنَّ أن إيران قد أمنت بموت القيصر من اعتداء الروس، لأنّ العدوّ الباغي يرى الصلح فرصةً لتجهيز قواه وعودة اعتداه[١].

وفي خضمّ زمن الحرب الثانية بين إيران والروس - ضمن قصيدة طويلة - ذمّ تخاذل وفرار جمع من الجنود وقادة الجيش - في الحرب مع الروس (في هشتدرك آباران)[٢] مذمّة شديدة، ومدح في المقابل شجاعة وثبات جيش تبريز وأرومية إيروان في ساحة تلك الحرب، والتي كانت سبب انتصار إيران على العدوّ[٣].

*** رجال عباس ميرزا، مشجعوا السيد المجاهد لاستئناف الحرب**

كتب لسان الملك سپهر، وكذلك رضاقلى هدايت كما ذكر: تقارير جرائم الروس في الأراضي المحتلّة، «بيد بعض رجال وعمّال عباس ميرزا، والذين كانوا قلقين من المصالحة مع الروس» [كانت] منبهّةً للسيد المجاهد، وأرضيّةً لإصدار حكم الجهاد ومجيء العلماء إلى جبهة الحرب.

---

(١) منشآت، قسم الأشعار: ص٣٣-٣٤ والصفحات التي قبله وبعده.

(٢) هذه الحرب، والتي هزم فيها الروس هزيمة نكراء مع مقتل ألف [منهم] عرفت باسم آباران للتفصيل عن هذه الحرب ينظر: تاريخ جنگهاي ايران وروس، ياد داشتهاى ... وقايع نگار... ص٢٣٨-٢٣٩.

(٣) منشآت، قسم الأشعار: ص١٠٨-١١٢.

ولابدّ من النظر في «رجال» عباس ميرزا هؤلاء؟ وبلا شكّ أنّ منهم ميرزا محمد صادق وقايع نگار، الصديق المخلص ومستودع أسرارع عباس ميرزا وقائم مقام - والذي أُرسل قبل قليل من شروع الجولة الثانية من حروب إيران والروس من قبل وليّ العهد إلى القفقاز لتحديد النقاط الحدودية للبلدين ووصل حتى تفليس أيضاً، وكان يقابَل في كلّ مكان بتجاهل الروس المقرف والظاهر، ورجع خالياً، ومن تفليس أرسل قصيدة مؤلمة وثوريّة لعبّاس ميرزا.

جاء الفلك إلى تفليس لي بغمّ
فعظمت صيحتي من هذا الظلم وآه من هذا التعدّي
فأنا من تلك الأراضي الطاهرات للطاهرين
كالنفس في البدن وأنعم به من مكانٍ هو لهم
جعلها الفلك شريدة وأنيسة للروس ومأنوسة
اللهم إلا بحسام ولي العهد صالي الأعداء
اللهم إلا بتدبير الشيخ الفتى[1]
يخلصني من هذا المسكن المشؤوم
ويستخلصني من هذا السكن المذموم
أيا حاكم العالم يا الله طريقاً من سيف بارق بلون الماء
أزل غبار الكفر عن طريق الدين
واجلُ عن وجه الشرع لونَ الشرك
أجرى العدوّ هواه على حدّ إيران

(١) يقصد: عباس ميرزا نايب السلطنة.

فـــــأغلى في الـــــرأس قِـــــدر الســـــوداء
فـــــبرّد غليانـــــه بـــــماء [ذلـــــك] الســـــيف
حتى يعلموا أن هواهم هـذا سـاذج ولا محـلّ لـه[1].

وأمّا الشخصية الأخرى والتي كانت تحتّ الخطى في جهاز عباس ميرزا على نحوجادّ في خطّ الجهاد مع الجيش القيصري المعتـدي. فهـو أبـو القاسـم قـائم والذي - تأسّياً بأبيه (ميرزا بزرگ)- كان يرى نجاة وسعادة إيران رهن الدفاع الجادّ والمشرّف عن الاستقلال والسلامة الإقليمية للوطن الإسلامي، والشاهد على هذا الأمر هوالوثائق التاريخيّة المعتبرة، كالرسـائل، والمكتوبـات والأشـعار التي أثرت عنه.

بعد انتهاء الحروب الثانية بين إيران والروس، كتب فتح عـلي شـاه - في رسـالة (بقلم قائم مقام، والذي كان آنذاك مقيماً في طهران) إلى عباس ميرزا، وأوصاه فيها: أنّه - ومن الآن فصاعداً - عليـه بحسـن السـلوك مـع الـدول المجـاورة (الـروس والعثمانيّين) وأن يترك سياسته السابقة والتي كانت «خلافـاً لتعلـيمات الأوليـاء» في طهران، وأن لا يهدّ بناءً مع أيّ جار لكلام أيٍّ ممّن ليس له اعتبار» وأن لا يتبـع رأي من هم تحت يده سواءاً كان قـائم مقـام أو مـيرزا محمـد عـلي[2] ومـيرزا تقـي[3] أو

(١) تاريخ جنگهاي ايران وروس، ياد داشتهاي ... وقايع نگار...، مقدمه مصحح، ص٣٥.

(٢) الظاهر أن المقصود ميرزا محمد علي آشتيانى المحاسب المـالي فـي جهـاز ولـي العهـد. والـذي أرسل من قبله في سنة ١٢٣٨ إلى أرض روم لعقـد الصـلح مـع العثمـانيين. ينظـر: منشـآت رسـالة عباس ميرزا بقلم قائم مقام مخاطباً محمد علي آشتيانى، ص٤-١٠.

(٣) الظاهر أن المقصود ميرزا تقي آقا علي آبادى الذي كان من أدباء وكتاب ذلك الزمان، حتى أصدقاء قائم مقام، لرؤية شعره في مدح قائم مقام. ينظر: ديوان شعر قائم مقام، جمع وحيد دستگردي، ص٦٥.

الآخرون، وأن يقيم الصلح في أسرع وقت مع الروس[١].

ونرى هنا، أن الشاه (بكناية أبلغ من التصريح) يعبّر عن قائم مقام بعنوان الجماعة التي تحت يدي وليّ العهد والتي تثيره لافتعال المشاكل مع الجيران.

ومن رسالة عباس ميرزا نفسه - في سفره إلى خراسان - إلى ولده (محمد ميرزا) والتي كتبها في انتقاد نقض العهد من قبل قائم مقام وآصف الدولة مع قائده الوفي «لاچين خان» يفهم أن الإصرار على الحرب مع روسيا كان عمل اللهيار خان آصف الدولة وقائم مقام[٢].

ويصرّح واتسون عضو سفارة إنگلترا في زمن ناصر الدين شاه: في اجتماع سلطانية (ذي القعدة ١٢٤١): إنّ آصف الدولة كان هو الراغب «بمواصلة الحرب» وقائم مقام - الذي كان وزيراً لائقاً جداً - يؤيّده في سياسته هذه[٣].

أرسل قائم مقام في سنة ١٢٣٩ من قبل عباس ميرزا إلى طهران لأجل المحادثة مع الشاه حول قضايا حدود إيران والروس[٤] وتحديد سياسة حكومة

(١) منشآت: ص٤٨-٤٩.

(٢) يكتب عباس ميرزا في تلك الرسالة: «مكتوبات تبريز احتوت تفصيلات، أقولها حضوريّاً كلما طرحت تلك الكلمات في مكان ما، بلا شعور ألعن اللهيارخان وقائم مقام الذين أقدما على تحركات - بجهل - فأضرّا المملكة - بسبب الأنانية والأغراض الشخصية - الأضرار والمتاعب ونهبا هذه المملكة، وهاهما الآن لا يرفعان يداً، وما زالا يتسمّيان باسم الصداقة !...»، عباس ميرزا نايب السلطنة أبو القاسم لاچيني، ص٦٧.

(٣) تاريخ ايران دوره قاجاريه، ترجمه وحيد مازندرانى، ص٢١٢.

(٤) رسالة شكوائية، قائم مقام مدرجة في منشآت، طبعة عباسى ص٣٦٢: حتى أُمرت من حضرة ولاية العهد إلى سدّة خلافة العصر (لأعرض بنداً من مصالح الثغر وأصلح بعضاً من مفاسد الأمر).

إيران في هذا المجال. ويكتب – هو نفسه – في رسالة إلى أخيه ميرزا موسى خان: إنّ الشاه طلبني ومعتمد[1] للمحادثة حول الشؤون الحدوديّة والسياسيّة الخارجيّة لإيران) والتشاور في ذلك معنا، وقد رأيت الصلاح في المجيء إلى أوجان [چمن أوجان، بالقرب من تبريز وقد كانت – تقريباً– بمثابة قيادة الجيش] وأنهي مسألة حدود إيران والروس، ومعتمد كان يرغّب الشاه بخراسان ويقول: المماشاة مع الروس صلاح، و في مجلس أو مجلسين طالبت بأولويّة إجابتي، وفي آخر الأمركان البناء [على ذهاب الشاه إلى حدود] خراسان، وعلى رغم محاولتهم أن يسمعوا منّي تأييداً لهم فإنّني لم أفعل، ورأيت الصلاح في هذا السياق[2].

إنّ قائم مقام صار متهماً عند ولي العهد بإسعار الحرب قبل ابتداء الجولة الثانية من حروب إيران والروس – بسنةٍ – وبسبب الكلام الذي قاله للشاه وحديثه معه (مع ما زِيد عليه في هذا الكلام وتناهى إلى مسامع عبّاس ميرزا).

توضيح ذلك أنّه في ذي القعدة ١٢٤٠ (قبل اجتماع الشاه والعلماء في سلطانية وعودة حروب إيران والروس بسنة) كان قائم مقام عند الشاه وكان يقوم بوظيفة وكيل وليّ العهد في العاصمة.

و يفهم من رسالة قائم مقام إلى أخيه موسى (المؤرخة في ٢ ذي القعدة ١٢٤٠ هـ . ق)[3] أنّه في محادثته مع الشاه وفي ضمن عرض هذه النقطة قال: إنّ

(١) معتمد الدولة نشاط، من مسؤولي الشؤون الخارجية في زمان فتح علي شاه.

(٢) منشآت قائم مقام: ص٧٥.

(٣) نامه هاي پراكنده، قائم مقام، بخش يكم ص٤٤-٤٦.

الطمع والاعتداء على أرض إيران هي سياسة القيصر نفسه، لا أنّها مبادرة ارتجالية من قبل بعضٍ من سفرائه كـ«يرملوف»، ثمّ قال: «فإمّا استقامةً وقياماً للحرب ومطالبةً بالولايات المغتصبة وبذل همّة ملكيّة بلا وحشة من أرواح ستزهق وأموال ستهرق في هذا السبيل الجليل، وأما الاجتماع بسفير روسيا في عاصمة القيصر والقنصل في تفليس، لكي يتّصل بالقيصر شخصيّاً أو وزير خارجيّته في حال وجود داعٍ [لذلك]لحلّ وفصل المشاكل بين البلدين بعيداً عن افتعال الإشكاليّات وتخريبات المتشدّدين ومسعري الحرب المحيطين بالقيصر).

ولأنّ الشاه لم يكن لديه رغبة بالحرب فقد كان عبّاس ميرزا يتّقيه في هذا الموضوع، ويتجنّب إفشاء مكنون ضميره المبني على عودة الحرب مع روسيا، لهذا كانت كلمات قائم مقام (خصوصاً مع ما جعلوه لها من حواشي وزيادات) مرتجلة، وعلى عكس سياسة عبّاس ميرزا، ولاقت اعتراضاً منه، وبالتأكيد فإن الشاه عاد واقتنع مجدداً أن يحارب الروس[1].

*** عباس ميرزا يتحدث عن فوائد مجيء السيد المجاهد إلى جبهة الحرب.**

بنظر عباس ميرزا وقائم مقام فإن مجيء السيد المجاهد في ذي القعدة ١٢٤١هـ إلى إيران (المتزامن مع مجيء الروس إلى بلاط فتح علي شاه) حدث مبارك، وحسب ما كتبه قائم مقام: «من نتائج الاقبال الذي لا زال للشاه» فإن حضور السيّد والعلماء الذين على فكره في طهران وسلطانية رفع قدرة المساومة لدى الشاه وإيران في المحادثات، فإنّ الاضطراب سيحلّ بدون أيّة مشكلةٍ- إن أذعن سفير روسيا لما

(١) يكتب هنري ويلاك: لقد شاهدوا الشاه وهو يبكي بمرارة «أثناء الحديث عن ويلات المسلمين تحت نير حكومة روسيا» نقش روحانيت پيشرو... الگار: ص١٤٩.

تريد إيران (والمبتني على استرجاع كلّ الأراضي المحتلّة أو القسم الأهـمّ منهـا) وإن امتنع واشتعلت الحرب فإنّ حضور العلماء وحكمهم بجهاد الروس سيكون عامل تعبئة للعامّة للجهاد، وبذلك يمكن إدامة أمر الحرب بقوّة واقتدار أكثر.

كتب عباس ميرزا في رسالة (بقلم قائم مقام) إلى أخي زوجته ومن على فكره (آصف الدولة) (مؤرخة في رمضان١٢٤١ هـ.ق) مع الإشارة إلى اضـطرابات روسيا المتزايدة في تلك الأيّام (بسبب موت القيصر): في ما يخصّ جناب مجتهـد الزمان [السيّد المجاهد] والذي أرسل إلينا رقعة وقد رأيناها، فـإنّ مجيئـه أيضـاً وفي هذا الوقت الذي يصل فيه مبعوث روسيا إلى بلاط الملك. من نتـائج إقبـال الشاه الذي هو بلا زوال، لأنّه إن تمّ ما هـو مـراد الملـك وعرضـناه كـراراً فـإنّ وجوده من الأسباب التامة وبيانه وإصراره هو وعلماء الإسـلام في أمـر الجهـاد والغزو في نظر روسيا وكلّ الدول مبرر كامل، وإلا فالمبتعث الذي سيصل لديه طرح جديد والمصلحة في قبوله أكثر من المصلحة التي أرتأوهـا الآن. فـإصراره هو وأئمّة وعلماء الإسلام يمكن أن يجعلوه سبباً للمنّة الكاملة على روسيا[1].

ويظهر من هذه الرسالة. أن الشاه أيضـاً (عـلى رغـم عـدم رغبتـه السـابقة لاستئناف الحرب) في النصف الثاني مـن سـنة ١٢٤١ هــ.ق. توصّـل إلى هـذا الرأي وهو أن مصلحة البلاد كامنة في استئناف الحرب مع روسيا إلا أن يكـون في وفاض المبعوث الروسي وثيقة ردّ القفقاز كلّها (أو قسمها الأهَم) إلى إيران.

وقد كتب عباس ميرزا في رسالة أخرى (وهي أيضاً بقلم قائم مقام وكُتبـت خطاباً لآصف الدولة) مؤرخة في رمضان إلى أواسط شوال ١٢٤١هــ .ق مـع

(١) نامه هاى پراكنده قائم مقام، بخش يكم: ص٤٨-٤٩.

الإشارة إلى رسالة السيد المجاهد إليه (عباس ميرزا) كتب: مجيء سماحته في هذا الوقت مفيد فائدة تامّة، إذ أنّهم إذا أحرزوا الصلح فقد جعلوا المنّة على رأس روسيا، فعلى رغم مجيئه وهيجان المسلمين جميعاً إلا أنّا لم ننقض الصلح، وإن ابتدأوا بالحرب فسيكون لكلامه الأثر التامّ، ووجوده سيكون باعث حماس الناس، فكما شاهدنا أنّ الناس بمجرّد أن سمعوا أنه سيصل إلى بلاط الميمون [الشاه] وقع في قلوبهم حماس عظيم، وكان من السهل أن نهدِّئ - بعبارات مختلفة- من روع ميرزا آمبورگر [قنصل روسيا في تبريز] - والذي خاف جداً - فطمأنّاه و«سكنّاه»، حتى أنه اقترح على بلاط إيران قائلاً: «مادامت هذه الخصوصيّة لمجيء سماحته فالصلاح هو أن تقوم الحكومة بإظهار تعظيمه بشكل أكبر، وتمنع من استقباله في الطريق - من قبل العلماء - بالمنشدين وبالأعلام، وكذلك من دار الخلافة [من] ذوي العلم بهذا الوضع واستقبال أبناء الملك له في طريقهم. إذ لو لم يبذلوا هذا الإعظام لفضل العلم فلن يتمّ الامتنان على روسيا في صورة الصلح - لعدم سماع كلامه، ولا في صورة الحرب، إذ كلامه لشعبنا مهمّ، ومجيؤه - لروسيا - محفّز للمحادثة، نِعْمَ الفعل أن تحشى البندقيّة، إن أُحْسِن إفراغها...»[1].

وبعد مدّة قليلة من ذلك التاريخ، حين بدأت الجولة الثانية من حروب إيران والروس (١٢٤٢هـ . ق) لخّص عباس ميرزا الأمر - في رسالة إلى غالب باشا (والي أرضروم) والتي أشرنا أيضاً - إليها سابقاً - بقوله:

«في هذه الأوقات والتي عزمت فيها روسيا على الاعتداء من جهة إيروان

(١) نفس المصدر: ص ٥٠-٥١.

وقـراداغ وطـالش. وفي سـنين المصـالحة الأربـع عـشرة وعـلى رغـم مـداراتنا ومماشاتنا، يوماً بعد يوم ازداد عدوانهم وكثر نقضـهم للعهـد، وتجـاوزهم عـلى خطوط الحدود التي كانت في المعاهدة. حتى وصل الأمر إلى أن عزّة الإسـلام لم تعد تتحمّل، وبادرنا إلى تلافي الاصطدام، ولكن مع ذلك المهمّ انتهى الأمـر إلى الحرب...»[1].

*** الكلمة الأخيرة:**

كان العالم المفضال المرحوم آية الله السيد محمّد المجاهد مرجع التشيّع الكبير وقائد طلائع الجهاد ضدّ المعتدين القياصرة في الجولة الثانية من حـروب إيـران والروس هو الذي ندب الإيرانيّين للدفاع عـن كيـان الإسـلام وحفـظ أراضي إيران كلّها. - بإصدار فتواه المهمّة في مواجهة أعداء هذه الأرض والمياه، ونفـخ الصور للقتال وشارك بحضوره الحماسيّ في جبهات الحرب - وصار بعد ذلك - مع الأسف - مرمى سهام الهجمات الإعلاميّة للمؤرّخين العلمانيّين، وتربّع غبار التحريف على الوجه السياسي والاجتماعي لذلك الرجل العظيم.

ومع ما عرضناه - على أساس الوثائق التاريخية المهمة التي ذكرناها في هـذه المقالة - فلابدّ من أن لا يخطر الشكّ في أن عبّاس ميرزا أو قائم مقام كانا متّفقين على ضرورة الحرب مع الـروس واسـتعادة الأراضي المحتلّـة، ورحّبـوا بحكـم الجهاد من قبل العلماء؛ خاصّة السيّد المجاهد، وما يقال على عكس ذلك - فهـو من قماش «مناسباتٍ ذكروها بعد الوقوع» وتزوير ظاهر للتاريخ.

(١) اسناد ومكاتبات تاريخى ايران قاجاريه، ج٢: من سنة ١٢٣٩ إلى ١٢٦٣ هـ. ق بجهود محمد رضا نصيرى، ص٧٩.

إنّ المقالة التي أمام أعين القرّاء – والتي اتّخذت شكل المقياس الدقيق – تعدّ سعياً في دراسةً شفافةً لهذا الجانب من التاريخ، والتي تبيّن أنّ مصلحة استمرار أو توقّف الحرب مع الروس لم يكن وليد ساعته بالنسبة لرجالات إيران السياسيين والدينيّن والعسكريّن في عهد عباس ميرزا، بل أنّ ألف مشورة ونظر مصلحةٍ وتأمّل اُتّخذت حتى صار واضحاً لعباس ميرزا وقائم مقام ومسؤولي الحرب أنّه لابدّ أن يستأنفوا الحرب مع روسيا على أمل أن يستطيعوا استرجاع الأراضي المقتطعة من إيران.

ولهذا السبب مدّوا يد الاستعانة إلى آية الله السيّد المجاهد ومراجع الشيعة المشفقين.

ولا ننسى أنّه – عادةً– عندما يحدث نصر وفتح، يسعى الكلّ إلى نسبته لنفسه، وبالعكس حين يحدث انهزام وافتضاح فإنّ الجميع يصرخ – حينها –، «من كان؟ من كان؟.. أنا لم أكن!» ويلقون اللائمة والتقصير على عاتق الآخرين، حتى يكونوا في مأمن من طعن المعاصرين، ولعنة اللاحقين، غافلين عن أنّ القمر لا يبقى خلف السحاب على الدوام، ففي الأخير يأتي يوم "ينقشع الشتاء ويبقى سواد الوجه للفحم".

المصادر والمراجع

١. **روضات الجنّات فی احوال العلماء و السادات**، میرزا محمدباقر خوانساری، مکتبة اسماعیلیان، قم، ١٣٩١ق.

٢. **قصص العلماء**، میرزا محمد تنکابنی، انتشارات علمیه اسلامیه، تهران، ١٣٩٦ق.

٣. **فوائدالرضویه**، حاج شیخ عباس قمی، انتشارات مرکزی، تهران، بهمن ١٣٢٧.

٤. **ریحانة الأدب فی تراجم المعروفین بالکنیة و اللقب یا کُنی و القاب**، میرزا محمدعلی مدرّس تبریزی، ج ٦، انتشارات خیام، چ ٢، تبریز، بی تا.

٥. **زندگانی و شخصیت شیخ انصاری**، حاج شیخ مرتضی انصاری، ناشر: حسینعلی نوبان، چ ٣، تهران ١٣٦٩.

٦. **جهاد دفاعی و جنگ صلیبی ایران و روس تزاری**، علی ابوالحسنی (منذر)، دارالحسین، تهران ١٣٦٢.

٧. **تاریخ نو**، جهانگیرمیرزا، نشر علم، تهران ١٣٨٤.

٨. **تاریخ اجتماعی و سیاسی ایران در دوره معاصر**، سعید نفیسی، انتشارات اهورا، تهران ١٣٨٣.

٩. **کریم خان زند**، عبدالحسین نوایی، شرکت سهامی کتابهای جیبی با همکاری مؤسسه انتشارات فرانکلین، چ ٢، تهران ١٣٥٦.

١٠. **سفر در ایران**، گاسپار درورویل، ترجمه منوچهر اعتماد مقدم، نشر شباویز، چ ٢، تهران ١٣٦٥.

١١. **خاطرات سیاسی سر آرتور هاردینگ وزیر مختار بریتانیا در ایران در عهد سلطنت مظفرالدین‌شاه قاجار از دوران مأموریتش در هندوستان - مصر - ایران**، ترجمه جواد شیخ الاسلامی، سازمان انتشارات کیهان، چ ١، تهران، بهار ١٣٧٠.

١٢. **نخستین رویارویی‌های اندیشه‌گران ایران با دو رویه تمدن بورژوازی غرب**، دکتر عبدالهادی حائری، انتشارات امیرکبیر، تهران ١٣٦٧.

١٣. **روضة بهيّة فی طرق الشفيعيّة**، حاجی سید شفیعا، چاپ سنگی، بی‌تا (تاریخ تألیف: رمضان ١٢٧٨ ق).

١٤. **فارسنامه ناصری**، حاج میرزا حسن حسینی فسایی، تصحیح و تحشیه دکتر منصور رستگار فسایی، انتشارات امیرکبیر، تهران ١٣٦٧ ش.

١٥. **زندگی نامه استاد الفقهاء شیخ انصاری**، ضیاء الدین سبط الشیخ، مرکز چاپ و نشر سازمان تبلیغات اسلامی، تهران، پاییز ١٣٧٢.

١٦. **نامه‌های پراکنده قائم‌مقام**، به کوشش جهانگیر قائم‌مقامی، انتشارات بنیاد فرهنگ ایران، تهران ١٣٥٧.

١٧. **منشآت قائم مقام**، با مقدمه و تصحیحات و تنضیم فهارس و فرهنگ به قلم محمد عباسی، انتشارات شرق، تهران ١٣٥٦.

١٨. **تاریخ جنگهای ایران و روس (آهنگ سروش)؛ یادداشتهای میرزا محمدصادق وقایع نگار «هما» مروزی از آغاز تا عهدنامه ترکمانچای**، گردآورنده: حسین آذر، تصحیح امیرهوشنگ آذر، ناشر: مصحح، تهران ١٣٦٩.

مركز الشيخ الطوسي للدراسات والتحقيق

١٩. **سفر در ایران**، گاسپار درووِیل، ترجمه منوچهر اعتماد مقدم، چ ٢: انتشارات شباویز، تهران ١٣٦٥.

٢٠. **انفصال هرات؛ گوشه‌هایی از روابط خارجی ایران (١٢٠٠-١٢٨٠ هـ.ق)**، منصوره اتّحادیه (نظام مافی)، کتاب سیامك با همکاری نشر تاریخ ایران، تهران ١٣٨٠.

٢١. **قائم مقام در جهان ادب و سیاست**، باقر قائم مقامی، شرکت چاپ کتاب، تهران ١٣٢٠.

٢٢. **خلسه؛ مشهور به خوابنامه**، محمدحسن خان اعتمادالسلطنه، به کوشش محمود کتیرایی، چ ٢، توکا، تهران ١٣٥٧.

٢٣. **تاریخ منتظم ناصری**، محمدحسن خان صنیع الدوله، تصحیح محمداسماعیل رضوانی، دنیای کتاب، تهران ١٣٦٧.

٢٤. **سیاستگران دوره قاجار**، سید احمد خان ملک ساسانی، انتشارات هدایت با همکاری انتشارات بابک، تهران، بی‌تا[1].

٢٥. **تاریخ روابط سیاسی ایران و انگلیس در قرن ١٩**، ج ١، محمود محمود، نشر اقبال، چ ٤، تهران ١٣٦١.

٢٦. **خاطرات ظل السلطان**، مسعود میرزا ظل السلطان، به اهتمام و تصحیح حسین خدیو جم، انتشارات اساطیر، تهران ١٣٦٨.

(١) چاپ دیگر این کتاب، به اهتمام سیّد مرتضی آل داود نیز مورد مراجعه بوده است: انتشارات مُگستان، تهران ١٣٧٩.

۲۷. **حقوق بگیران انگلیس در ایران**، اسماعیل رائین، چ ۵: سازمان انتشارات جاویدان، تهران ۱۳۵٦.

۲۸. **احوالات و دست‌خطهای عباس‌میرزا قاجار نایب‌السلطنه...**، ابوالقاسم لاچینی، بنگاه مطبوعاتی افشاری، چ ۲، تهران ۱۳۲٦.

۲۹. **دیوان شعر قائم مقام**، وحید دستگردی، ضمیمه سال دهم مجله ارمغان، تهران، بی‌تا.

۳۰. **یادداشت‌ها و خاطرات میرزا بزرگ قائم‌مقام فراهانی؛ میرزاموسی (قائم مقام چهارم)**، سید عبدالمجید قائم مقام فراهانی، بی‌نا، تهران، فروردین ۱۳٦۹.

۳۱. **آشنایی با قائم مقام فراهانی بزرگمرد تاریخ ایران**، ابراهیم فائقی، انتشارات زر قلم، تبریز ۱۳۷۳.

۳۲. **دیوان اشعار میرزا ابوالقاسم قائم مقام فراهانی به انضمام مثنوی جلایرنامه**، به تصحیح بدرالدین یغمائی، نشر شرق، تهران ۱۳٦٦.

۳۳. **صدراعظمهای سلسله قاجاریه، پرویز افشاری**، مؤسسه چاپ و انتشارات وزارت خارجه، تهران ۱۳۷۲.

۳٤. **عباس‌میرزا و فتحعلی‌شاه: نبردهای ده ساله ایران و روس**، امینه پاک روان، ترجمه صفیه روحی، نشر تاریخ ایران، تهران ۱۳۷٦.

۳۵. **ایران در میان طوفان یا شرح زندگانی عباس میرزا نایب‌السلطنه و جنگ‌های ایران و روس**، ناصر نجمی، کانون معرفت، تهران ۱۳٦۳.

۳٦. **روزنامه صور اسرافیل**، دوره کامل، میرزا علی‌اکبر خان دهخدا و میرزا جهانگیر خان صوراسرافیل، نشر تاریخ ایران، تهران ۱۳٦۱.

۳۷.**مآثر سلطانیه: تاریخ جنگ‌های ایران و روس**، عبدالرزاق بیک دنبلی، انتشارات ابن سینا، تهران ۱۳۵۱.

۳۸.**ناسخ التواریخ، سلاطین قاجاریه**، میرزا محمدتقی لسان الملك سپهر، کتابفروشی اسلامیه، تهران ۱۳۵۳.

۳۹.**روضة الصفای ناصری**، رضاقلی هدایت، ج ۹، انتشارات خیام، تهران ۱۳۳۹.

٤٠.**تاریخ روابط بازرگانی و سیاسی ایران و انگلیس از دوران فرمانروایی مغولان تا پایان عهد قاجاریه**، ابوالقاسم طاهری، ج ۲، انجمن آثار ملّی، تهران، بی تا.

٤١.«**رساله جهادیه**»، حاج ملا رضا همدانی، به کوشش: ابوالفضل حافظیان، مندرج در: **حکومت اسلامی**، سال ۲، ش ۱، بهار ۱۳۷٦.

٤٢.**اسناد و مکاتبات تاریخی ایران قاجاریه**، ج ۲: از ۱۲۳۹ تا ۱۲٦۳ هـ.ق، به اهتمام محمدرضا نصیری، انتشارات کیهان، تهران، بهار ۱۳٦۸.

٤۳.**تاریخ ایران دوره قاجاریه**، رابرت گرنت واتسون، ترجمه ع. وحید مازندرانی، چ۳، کتابهای سیمرغ، تهران ۱۳٥٤.

٤٤.**صدر التواریخ یا تاریخ صدور قاجار...**، اعتماد السلطنه، به کوشش محمد مشیری، انتشاراتروزبهان، چ۲، تهران ۱۳٥۷.

٤٥.**حماسه کویر**، محمد ابراهیم باستانی پاریزی، مؤسسه انتشارات امیرکبیر، تهران ۱۳٥٦.

٤٦.**نامه‌های الکساندر گریبایدوف درباره ایران مربوط به سلطنت فتحعلی شاه قاجار**، ترجمه رضا فرزانه، مؤسسه انتشارات ثقفی، تهران ۱۳٥٦.

٤٧. **مواد التواريخ**، حاج حسين نخجوانی، كتاب فروشی ادبيه، تهران ١٣٤٣.

٤٨. **نقش روحانيت پيشرو در جنبش مشروطيت - دين و دولت در ايران: نقش علما در دوره قاجاريه**، حامد الگار، ترجمه أبو القاسم سرّی، انتشارات توس، تهران ١٣٥٦.

مركز الفجر العلوية للدراسات والتحقيق

فهرس المحتويات

كلمة اللّجنتين العلميّة والتحضيريّة للمؤتمر العلميّ الدوليّ الأوّل (السيّد المجاهد وتراثه العلميّ) ٥

الملخّص ١٥

المقدّمة ١٧

ولكنّ الحقيقة شيءٌ آخر ١٨

١ – الأسرة والولادة ١٩

٢ – في محضر الأساتذة ٢٠

٣ – الآثار القيّمة ٢١

٤ – المقام الشامخ العلمي والتاريخي ٢٢

٥ – تحليل تهمةٍ حول السيّد المجاهد ٢٥

ولكنّ الحقيقة شيء آخر ٤٠

المصادر والمراجع ٦٩

فهرس المحتويات ٧٥